يهود تونس في الرواية العبرية المعاصرة
من خلال رواية "נציב המלח" عمود الملح
للأديب التونسى الأصل ألبير ميمى

أ.د.أحمد كامل راوى (*)

ارتبط اليهود بتونس ارتباطا وثيقا منذ زمن بعيد مرورا بالعصور المختلفة ووصولا إلى العصر الحديث؛ حيث كونوا طائفة كبيرة تمتعت بكل سبل العيش الكريم، وساهموا بدور فعال فى مجالات مختلفة. ويأتى الأديب التونسى الأصل ألبير ميمى "(١) والذى اهتم بعرض حياة اليهود فى تونس فى أعماله الأدبية . ويعد موضوع حياة اليهود فى تونس من الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث؛ وخاصة إذا ما كتبت من خلال أديب قد ولد ونشأ فى تونس وطنه الأول وفى نفس الوقت انجذب نحو الثقافة الغربية .

وقد وقع الاختيار على دراسة اليهود فى تونس فى رواية "عمود الملح"الصادرة عام ١٩٨٧ بالذات لتكون موضوعا للدراسة للأسباب التالية :

. عدم وجود دراسة مستقلة عن مجتمع يهود تونس فى الأدب العبري المعاصر رغم أهمية الموضوع.

. عدم وجود دراسة عن الأديب ألبير ميمى نفسه رغم المكانة التي يتبوأها بين أدباء جيله.

. عدم وجود دراسة مستقلة عن هذه الرواية بالرغم من أهميتها ولاهتمامها بتناول أحوال اليهود فى تونس ، ولأهمية الرواية حيث نشرت فى إسرائيل وخارجها .

---

* – أستاذ الأدب العبرى الحديث – رئيس قسم اللغة العبرية –كلية الآداب . جامعة حلوان.

ومن أهم أهداف الدراسة ما يلى :

. الكشف عن البعد التاريخى للتواجد اليهودى فى تونس

. معرفة التنظيم الطائفى لليهود بتونس وطبيعة التعليم الذى تلقوه كما تعكسه الرواية

. إماطة اللثام عن ثقافة يهود تونس وموقع الثقافة الغربية والعربية فى حياتهم وموقف الأديب منهما:

. الكشف عن الدور الذى لعبه اليهود فى الاقتصاد التونسى ، وأهم الأعمال التى مارسوها فى تونس ومستوى حياتهم كما تنعكس فى الرواية

. الكشف عن الموروثات والتقاليد الشعبية والمعتقدات التى سادت مجتمع يهود تونس.

. إماطة اللثام عن مكانة المرأة اليهودية فى مجتمع يهود تونس.

. معرفة أهم القضايا التي اهتم بها الأديب التونسى الأصل وعرضها فى روايته.

يهود تونس: لمحة تاريخية:

عندما نحاول الوقوف على بداية الهجرة اليهودية إلى تونس تختلط الأسطورة بالتاريخ . ويظل تحديد تاريخ معين لدخول اليهود بلاد تونس مجالا خصبا لقصص الكتاب اليهود التى تعتمد على الافتراضات وعلى ما هو شائع فى أوساط يهود تونس أنفسهم من حكايات شعبية لا تستند إلى أية أدلة تاريخية. فوفقا لروايات يهود تونس التى تتناقل شفاهية وصل اليهود تونس فى القرن العاشر ق.م ، وذلك مع الفنيقيين الذين خرجوا من صيدا وصور ([٢]). ويدعى يهود تونس أن أجدادهم الآوائل الذين وصلوا تونس هم من أبناء سبط زبولون . وأنهم استقروا فى جزيرة جربة وأقاموا معبدهم الكبير فى عهد سليمان على حجر أخذوه من هيكل القدس.([٣])

وهناك من يرى أن اليهود قدموا إلى تونس فى أعقاب هدم الهيكل الأول فى ٥٨٦ ق.م على يد نبوخذ نصر. ومنذ ذلك التاريخ تعاقب اليهود على تونس فكان التواجد اليهودى فى تونس يتزايد كلما تزايدت موجة الاضطرابات التى كانت تجتاح فلسطين، وبخاصة فى فترة حكم أنطيوخوس الأول (١٧٥ – ١٦٤) وبعد دمار الهيكل الثانى عام ٧٠ م على يد

تيتوس؛ حيث جاءت موجة جديدة من المهاجرين اليهود إلى شمال أفريقيا وتونس ، منهم من جاء عن طيب خاطر ومنهم من جيء به إلى تونس كأسرى حرب للعمل فى المقاطعات الرومانية.(٤)

واستمر تيار الهجرة اليهودية من الشرق خلال العصر الرومانى فشكلوا جانبا مهما من السكان يتأثر بالتطورات التى تسود المنطقة والاضطرابات التى تحدث فيها. وعندما أعلنت المسيحية دينا للدولة تعرض اليهود لمجموعة إجراءات من التمييز والاضطهاد والقمع . وأدى اضطهاد الرومان لليهود إلى فرار كثير من اليهود إلى الداخل فى عمق الأقاليم الجنوبية للتخلص من السيادة الرومانية. واندمجوا مع قبائل البربر الذين سكنوا الصحراء والأودية ، ووجدوا ترحيبا من هذه القبائل(٥) وعمل اليهود على استمالة البربر إلى عقيدتهم فاعتنقت أعداد من البربر اليهودية.(٦)

وفى سنة ٧٠٠ م وضعت قوانين صارمة فقد صدر مرسوم ينص على أن العبودية مصير من يمارس الشعائر اليهودية، وأدى هذا المرسوم إلى فرار أعداد كبيرة من اليهود إلى المغرب الأقصى. كما فرت مجموعات إلى الأقاليم الداخلية جنوب البلاد هربا من السيطرة الرومانية، فارتقوا الجبال التى تبعد عن هيمنة القوات الرومانية ومنهم من توغل فى الصحراء.(٧)

يهود تونس فى ظل الحكم الإسلامى

فتح المسلمون تونس فى منتصف القرن السابع. وبعد أن فتح العرب بلاد المغرب أسسوا مدن جديدة كقاعدة للملك تمارس منها الإشراف على مناطق نفوذهم، وكانت هذه المدن مناطق جذب لليهود من أهل البلاد أوالنازحين من نواح أخرى بعيدة، وكانت مدينة القيروان باكورة هذه المدن، إذ أسسها عقبة بن نافع سنة ٥٤هـ / ٦٧٤ م فى خلافة معاوية بن سفيان، وأضحت عاصمة لبلاد المغرب.(٨) حينذاك أقبل اليهود عليها خاصة من الأماكن القريبة إليها، بما أتاحه لهم الإسلام من أمان وحرية انتقال . وما إن تأسست المدينة حتى قام بها مجتمع يهودى زادت أعداده بمرور الزمن، وسمح الحكام المسلمون لهم ببناء المعابد والمدارس الدينية، وحرية إقامة الشعائر اليهودية (٩) وتوافد علماء اليهود إلى القيروان

فضمت مجموعة كبيرة من رجال الدين أشهرهم : يعقوب بن نسيم ، نسيم جأون حنائيل بن حوشيئيل. وقد ارتبطت هذه المدرسة بروابط دينية وثيقة مع المدارس الدينية فى العراق وفلسطين، كما ضمت مجموعة بارزة من النحاة والأطباء وعلى رأسهم الطبيب اسحاق بن شلوموالذى ارتبط بعلاقات وطيدة مع سعديا هجأون . وارتبط يهود القيروان بعلاقات طيبة مع إخوانهم من يهود الشرق والغرب. ([١٠]).

وتجلت سماحة الإسلام فى أن ترك المسلمون حرية العقيدة مع الأديان الأخرى فتركوا لرجال الدين من اليهود تسيير الأمور الخاصة بالأحوال الشخصية والتقاضى فيما بينهم.([١١])

ومن ثم باتت القيروان من أهم المراكز الروحية لليهود فى بلاد المغرب. كما شارك اليهود أيضا فى الأنشطة التجارية مع دول حوض البحر المتوسط وخاصة مصر. وتعاظم دورهم فى هذه المنطقة وبخاصة بعد أن حقق اليهود مبتغاهم بالتواجد فى بلاط الحكام والتقرب من أصحاب السلطان([١٢])

وتكشف أوراق الجنيزا القاهرية عن النشاط التجارى المكثف بين يهود القيروان والعالم الخارجى. كما كشفت عن نهضة علمية ودينية واقتصادية تدل على مدى ازدهار طائفة القيروان وثرائها ومكانتها، وبخاصة فى القرنين ١٠ ، ١١.([١٣])

مما لاشك فيه أن النهضة الحقيقية للجالية اليهودية فى القيروان هى نتيجة طبيعية لسياسة التسامح التى انتهجها المسلمون تجاه اليهود فى تونس آنذاك، فلم تشهد هذه الحقبة أى تمييز أو اضطهاد على أساس دينى. ويمكن القول إن القيروان ظلت مركزا حيويا لليهود منذ تأسيسها وحتى خرابها فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر

عقب ضعف الحكم فى القيرون سادت الاضطرابات المنطقة وعمت الفوضى حتى ظهرت قبائل الموحدين، التى أقبلت من جنوب المغرب وبدأت فى بسط نفوذها على تونس وتولى السلطة بها فى ١١٤٦. ويبدو أن فترة حكم الموحدين كانت صعبة على اليهود وفق ادعائهم . ولم تشهد نفس النهضة التى كانت فى القيروان . وأعقب الموحدين حكام اتسموا بالتسامح مع جميع السكان بما فيهم اليهود. وظهرت الأسرة الحفظية التى تولت الحكم فى

١٢٣٦ فتحسنت أحوال اليهود بنسبة كبيرة وتمتعوا بقدر من الحكم الذاتى وتحسنت أوضاعهم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بنسبة كبيرة. ([١٤]) إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلا، فقد تمكن الصليبيون من احتلال تونس فى ١٢٧٠ فساءت أحوال اليهود ، واضطر الكثير منهم للفرار من تونس . وحين سيطر الأسبان على تونس فى ١٥٣٥ تم اعتقال الكثير من اليهود وظلت أحوال اليهود مضطربة حتى دخول الأتراك تونس. ويمكن القول إنه لا تتوافر معلومات كافية عن يهود تونس فى الفترة من منتصف القرن الثانى عشر وحتى منتصف القرن الخامس عشر.([١٥])

تغلب الأتراك على الأسبان فى ١٥٧٤ وأصبحت تونس تابعة للدولة العثمانية. وكانت فترة حكم الأتراك بمثابة العصر الذهبى الثانى لليهود فى تونس بعد فترة القيروان ، فما أن دخل الأتراك تونس تغيرت أوضاع اليهود تماما وتطورت تطورا كبيرا. وتمكن اليهود من تكوين مركز روحانى قوى، وإنشاء مؤسسات تابعة للطائفة. وازدهرت أحوال الطائفة واستقرت تماما. وجذب الاستقرار الذى تمتع به اليهود فى تونس، أثناء حكم الأتراك، يهود الخارج للقدوم إلى تونس والاستقرار بها؛ فوصلت موجة من يهود أوربا كانوا من نسل يهود الأندلس فى ١٥٩٣ لتنضم إلى أقاربهم الذين سبقوهم فى تونس عقب طرد يهود من الأندلس فى ١٤٩٢ . فتركت كثير من الأسر الأسبانية والبرتغالية التى كانت تعيش فى مدينة ليفونو بالذات مدنها وأقبلت للاستقرار فى تونس. وأتيح لليهود فى تونس حرية ممارسة طقوسهم الدينية فى أمان، وممارسة النشاط التجارى . وارتبطوا بعلاقات وطيدة مع يهود الخارج. ([١٦])

وعمل الأتراك على تقريب اليهود منهم واستحداث وظيفة جديدة وهى قائد اليهود ، وهو المسئول عن اليهود أمام الأتراك. وفى نفس الوقت كان هذا الشخص يكلف بتحصيل الضرائب من سكان تونس، فكان جابى الدولة أيضا ومسئول الخزانة ويعمل تحت إمرة مسئول الضرائب التركى والحاكم التركى، وكان شريك فى السلطة وحليف للحكام الأتراك. وفى الفترة من ١٧٠٥ وحتى ١٨٩٨تم تعيين ٢٨ قائدا لليهود.([١٧])

وظل اليهود ينعمون أثناء حكم الأتراك بحياة طيبة وبخاصة فى ظل حكم الأسرة الحسينية التركية التى حكمت تونس حتى ١٨٨١. وساهم اليهود فى كافة الأنشطة فى القرن السابع عشر والثامن عشر. وشهدت تونس فى القرن التاسع عشر انفتاحا تدريجيا على التأثيرات الأوربية حتى تولى الحكم البای أحمد باشا عرش تونس (١٨٣٧ – ١٨٥٥)، وكان ذلك بداية تطور جديد فى البلاد إذ عمل على تنظيم الدولة على أساس جديد وانفتح على فرنسا. ونال اليهود حمايته وكان فى خدمته عدد من الإداريين والأطباء والموظفين اليهود، الذين ضمنوا لإخوانهم مزيد من الهدوء والاستقرار.(١٨) وهنأ اليهود فى عصره برغد العيش وفتح أحمد باشا صفحة جديدة فى تاريخ العلاقات العربية وفى تحسين أوضاعهم وتطويرها ، وخاصة بعد أن عمل على سن دستور جديد للبلاد يساوى بين المسلمين وغيرهم .(١٩)

واتبع خليفة أحمد باشا البای محمد الصادق نفس النهج فى الانفتاح على فرنسا، ومنح اليهود المزيد من الحريات والحماية . بل وتأكد فى عصره العمل بدستور ١٨٦١ الذى منح اليهود نفس الحقوق التى منحت للمسلمين. ولم يتعرض اليهود فى عهده لأى مضايقات.(٢٠) إلا أن البلاد كانت مسرحا للصراعات على النفوذ بين القوى الأوربية وهو ما جعل البای محمد يوقع معاهدة الحماية الفرنسية فى ١٨٨١ والتى أفقدت البای كل سلطة حقيقية رغم احتفاظه بلقبه.(٢١)

يهود تونس فى ظل الاحتلال الفرنسى

بعد أن فرضت الحماية الفرنسية على تونس فتح عهد جديد لليهود بتونس. فقد رحب اليهود بالاستعمار الفرنسى. ومنحت السلطات الفرنسية امتيازات كثيرة للأجانب فى تونس، فطالب يهود على إثرها بمنحهم الجنسية الفرنسية، والمساواة مع الرعايا الفرنسيين المتواجدين فى تونس فى المسائل التى تخص التشريع والمعاملة القانونية. وحصل كثير من اليهود على الجنسية فى ١٩١٠. وفى ١٩٢٣ صدر قانون يسهل الحصول على الجنسية الفرنسية. وانقسمت الطائفة اليهودية إلى قسمين ؛ الأول يضم اليهود الذين حصلوا على الجنسية الفرنسية وهؤلاء يخضعون للتشريع الفرنسى. والقسم الثانى يضم اليهود الذين ظلوا

رعايا تونسيين، ويخضعون لتشريع القانون الفرنسى فى الأمور المدنية وإلى المحكمة الدينية اليهودية فى الأمور الشخصية.([٢٢])

ظلت الطائفة اليهودية فى تونس متماسكة، واستمرت المحاكم الطائفية فى العمل ويدير شئون الطائفة مجلس الطائفة الذى تأسس فى ١٩٢٤ ويتألف من عشرة أشخاص يتم انتخابهم من بين أربعين مندوبا.([٢٣])

فى ١٩٣١ شيد أكبرمعبد فى تونس، وازدهر نشاط اليهود التجارى والثقافى والدينى. وظل اليهود يتمتعون بوضع خاص فى ظل المستعمر الفرنسى، وتحقيق مكاسب على حساب المسلمين، ووضع أفضل من وضع المسلمين أنفسهم، حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية وهزيمة فرنسا فى بداية الحرب فصار حال يهود تونس مضطربا. وصار أكثر اضطرابا وتأزما عندما احتل الألمان تونس فى الفترة من نوفمبر ١٩٤٢ وحتى مايو ١٩٤٣ . وكانت الفترة الأصعب على اليهود([٢٤])

عقب الحرب العالمية الثانية أقيمت إسرائيل فى ١٩٤٨ وفى ١٩٥٦ نالت تونس الاستقلال مما أثر على أوضاع اليهود فى تونس، فشهدت تونس موجات هجرة متتالية إلى إسرائيل وفرنسا. ولم يبق فى تونس إلا أعداد ضئيلة من اليهود فى تونس.

وفيما يلى سنتناول واقع اليهود فى تونس من خلال رواية "عمود الملح" للأديب ألبير ميمى وهو على النحو التالى:

أولا: يهود تونس الأصول والجذور

وجدت فى تونس مجموعتان متمايزتان من اليهود أو طائفتان ؛ إذ انقسم اليهود فى تونس حسب المنبت القطرى الأصل لكل منهم إلى طائفة التوانسة وطائفة الجرانة. وطائفة التوانسة هى تلك المجموعة التى لجأت إلى تونس منذ القدم واستقرت بها . واليهودى التونسى هو الذى ينتسب إلى سلالة سكنت البلاد منذ عهود موغلة فى القدم كيهود جزيرة جربة ، أو أقبلت إلى تونس من بلد عربى أو إسلامى مجاور.([٢٥])

ويضاف إلى تلك المجموعة اليهود الذين ينتسبون إلى الأسر والقبائل المحلية البربرية التى اعتنقت اليهودية ([٢٦])

وقد طغت الألقاب العربية على ألقاب العائلات اليهودية فى طائفة يهود التوانسة مثل ألقاب علوش ، بلعيش، بلحسن ، غزلان، معارك، صباغ ، زيتون.

أما اليهودى الجرانى هو الذى ينحدر من بلد أوربى سواء الذين تواجدوا حديثا بسبب التطور العاصف للرأسمالية فى أوربا وأقبلوا برغبتهم إلى تونس. أو الذين أجبروا على المجىء إلى تونس مرغمين عقب إجلاؤهم بالقوة من شبه جزيرة أيبريا (الأندلس) فى أواخر القرن الخامس عشر. كما ينسب لهؤلاء سليل المهاجرين إلى تونس من مدينة جرانة الإيطالية. وقد انعكس هذا الأصل على ألقاب العائلات اليهودية فى هذه الطائفة مثل ألقاب فانزى ، باريانتى ، ببونو، مونتفيورى.([٢٧])

ولقد عايش الأديب ألبير ميمى التونسى الأصل واقع يهود تونس وعرف أصولهم وجذورهم التى ينتمون إليها. وعكس هذا الواقع فى روايته من خلال بطله مردخاى ألكسندر بن علوش الذى راح يتسائل عن جذوره وأصوله بعد أن اكتشف أنه رغم تعليمه الأجنبى وثقافته الفرنسية إلا أنه ليس أوروبيا

"מרדכי אלכסנדר בנילוש. הכלל נילוש، בן- עילוש، אן בן היטלה בניב ברברי ערבי.מאיזה שבט הררי יצאו הורי- מי אני סוף סוף؟

בבדקי את תעודות המשפחה ، ניסיתי למצוא איזה חוט שיעמדני על משהנני. יום אחד דימיתי לגלות את עצמי נצר למשפחת נסיכים ברברים، שיוהדו על ידי כהינה ، אותה מלכה לוחמת שיסדה ממלכה יהודית בלב האטלס. ([٢٨])"

" مردخاى ألكسندر بنى لوش : بنى لوش ، بن علوش أو بن هيطله باللهجة البربرية العربية. من أى قبيلة جبلية أصل والداى . من أنا فى النهاية؟.

فحصت وثائق الأسرة. حاولت أن أجد خيط يوصلنى إلى بغيتى. ذات يوم تخيلت أنى أكتشف بأنى أنتمى لأسرة من أمراء البربر، اعتنقت اليهودية على يد كهينا ، تلك الملكة المحاربة التى أسست مملكة يهودية فى قلب جبال الأطلس."

فى إطار بحث البطل عن جذوره يكشف لنا الأديب عن فصيل مهم يتكون منه يهود تونس، وبخاصة طائفة اليهود التوانسة وهم اليهود الذين ينتمون لقبائل البربر المحلية التى اعتنقت اليهودية. فيكشف لنا الأديب عن جزء مهم من تاريخ اليهود فى تونس وهو اعتناق البربر اليهودية. والحقيقة أن عدد اليهود ظل قليلا فى الشمال الأفريقى، ولم يجدوا من سبيل إلى زيادة هذا العدد سوى استمالة البربر إلى عقيدتهم. وأدركوا ما تمثله قبائل البربر من قوة وسلطان فبدءوا عملية تهويد واسعة بينهم. واندمج اليهود مع البربر عن طريق المصاهرة. وأبرزت فكرة التهويد للبربر تعزيزا لمكانتهم السياسية والاجتماعية فى المنطقة قبل وصول تيار التبشير المسيحى الذى دخل فى منافسة مع التهويد. و الحقيقة لم يشمل التهود قبيلة بأكملها، بل أفرادا أو عائلات أو قطاعات من هذه القبائل اعتنقت اليهودية.(٢٩)

رغم ذلك إلا أن الكتاب اليهود أطلقوا لخيالهم العنان ومالوا إلى تضخيم الأمر، والادعاء بوجود قبائل كاملة من البربر اعتنقت اليهودية. بل جزم البعض بوجود ممالك يهودية فى شمال أفريقيا (٣٠) وغالوا فى شططهم حين ادعوا بأن الكاهنة زعيمة قبيلة جراوة البربرية والتى حاربت المسلمين تعتنق اليهودية، والثابت تاريخيا هو وثنية الكاهنة وهو ماتشير إليه معظم المصادر.(٣١)

إلا أن الكاتب يستدعى بطولات يهودية زائفة فى تاريخ تونس من خلال بحث البطل عن جذوره ليخلط الأديب بذلك الأسطورة بالواقع. ووجود يهود من جذور بربرية هو أمر جائز وارد، وهم جزء لايتجزأ من مجموعة اليهود التوانسة.

ولم يكتفى الأديب بعرض الجذور الشرقية الأفريقية ليهود تونس، بل إنه يتطرق فى روايته إلى الجانب الآخر المكون للطائفة اليهودية بتونس وهو وجود يهود ينتمون إلى جذور أوربية، و يطلق عليهم يهود الجرانة. فيقدم شخصيات تونسية أوربية الأصل مثل شخصية جوزيف الإيطالى الأصل

"אחר היינו מחכים לג'וזף הנאמן. זה עשר שנים היה פועלו היחיד של אבי, התכחש למוצאו האיטלקי, שנה את שמו מג'וזף ליוסף' והיה אחד מהמשפחה. היה איש האימונים בחנות ושותף לעונג שבת וחג (٣٢)"

"بعد ذلك كنا ننتظر لجوزيف المخلص. كان عامل أبى الوحيد منذ عشرة سنوات. تنكر لأصله الإيطالي . غير اسمه من جوزيف إلى يوسف . وكان واحدا من الأسرة، كان رجلا مخلصا فى المحل وشريكا فى بهجة السبت والعيد"

ويوضح هنا الأديب العلاقات التى ربطت بين اليهود التوانسة ،من خلال عائلة مردخاى، ويهود الجرانة ،من خلال جوزيف الإيطالي الأصل ، والذين استقروا فى تونس. ويؤكد الأديب على الأصول الأوربية لمجموعة من يهود تونس من خلال بطله هنرى الذى ينتمى لعائلة أوربية تجمع بين فرنسا وإيطاليا وملطا

"הנארי עצמו' שאהבתיו מאוד ' היה בעל הזיה חביב. בנם של צרפתיה ויהודי איקלטי' אזרח מלטה ונתין בריטי לא חש עצמו שייך לשום מקום. רב פנים היה.([٣٣])"

"هنرى نفسه الذى أحببته جدا ، كان ذو خيال محبب، هو ابن امرأة فرنسية ورجل يهودى إيطالى، هو مواطن من ملطا ويحمل جنسية إيطالية. لم يشعر بأنه ينتمى لأى مكان. فقد كان متعدد الوجوه"

يكشف الأديب هنا الجذور والأصول التى ينتمى إليها يهود تونس؛ حيث يهود توانسة شرقيين ويهود جرانة أوربيين، ومن خلال طرحه للأصول التى ينتمى إليها يهود تونس يشير إلى احتفاظ مجموعة من يهود أوربيين الأصل بجنسياتهم الأوربية بغية الحصول على مزايا أكثر

من الجدير بالذكر أن عدد يهود تونس فى ١٩٤١ قدر بحوالى ٨٩,٦٧٠ يهودى ؛ منهم ٦٨,٢٦٨ يهود توانسة و١٦,٤٩٦ يهود فرنسيين و ٣,٢٠٨ إيطاليين و٦٦٨ بريطانيين.([٣٤]) وفى ١٩٤٦ بلغ عدد اليهود فى تونس حوالى ١٠٥,٠٠٠ تقريبا ، منهم ٧٠,٩٧١ يحملون الجنسية التونسية ،و ٣٥,٠٠٠ يحملون الجنسية الفرنسية ، و٥٧٢ يحملون جنسيات مختلفة.([٣٥])

ويدل هذا على وجود أكثر من جنسية لليهود فى تونس كالفرنسية والإيطالية والبريطانية وغيرها من الجنسيات الأوربية. وعاشت كل تلك الجنسيات بجانب اليهود الذين حملوا

الجنسية التونسية فى ظل الاستعمار ووحمايته يتمتعون بكل المزايا التى حرم منها اهل البلاد من المسلمين، وهو أمر يجعل اليهودى التونسى يتخبط بين الثقافة الفرنسية التى اكتسبها وأصله العربى أو البربرى وتطلعاته نحو العالم الأوربى وهو ما يعانيه البطل مردخاى من تخبط بسبب جذوره فيقول:

" אם מוצאי משבט ברברי הנה הברברים לא יכירוני משום שאני יהודי ולא מוסלמי ' עירוני ולא הררי ' ואם נושא אני שמו של הצייר ' הנה האיטלקים לא יקבלוני ' משום שהנני אפריקאני ולא אירופי. בכל עת אחזור ואימצא מרדכי אלכסנדר בנילוש מן הילדים בארץ של התישבות' יהודי בתוך עולם אנטישמי' אפריקאני בעולם שבו אירופה בראש. ([٣٦])"

"لو أصلى من قبيلة بربرية . فإن البربر لن يعترفوا بى لأننى يهوديا ولست مسلما، ومتمدينا ولست من أهل الجبال. ورغم أننى أحمل اسم الرسام فلن يقبلى الإيطاليون لأننى أفريقيا ولست أوربيا. فى كل وقت سأعود وأجد نفسى مردخاى ألكسندر بن علوش من أبناء البلد ، يهودى داخل عالم لاسامى، أفريقى فى عالم تتمير فيه أوربا"

ويستعرض هنا الأديب مدى التخبط الذى يعيشه اليهودى التونسى بسبب أصوله ؛ فيرى أنه إذا كان بربرى الأصل فمصيره الرفض من البربر لأنه يهودى والبربر صاروا مسلمين منذ زمن. ورغم أنه يحمل اسم ألكسندر الرسام الإيطالى ويحمل ثقافة أوربية إلا أن الإيطاليين والأوربيين لن يقبلوه بسبب جذورة الأفريقية، وهذا يعنى أن الأصول والجذور عند يهود تونس تسبب عائقا أمام تطلعاتهم.

ثانيا: الوضع الاجتماعى والاقتصادى ليهود تونس

ـ السكن

يعيش معظم يهود تونس فى أحياء خاصة بهم داخل المدن الرئيسية الكبرى . مثل تونس ، بنزرت ، صفاقس، سوسه . وعرفت هذه الأحياء باسم حارة. وهى أشبه بمدينة داخل المدينة. وتكون مكتظة بالأبنية.([٣٧])

عاش معظم اليهود داخل هذه الحارة فى بيوت متراصة ملاصقة لبعضها البعض. ومبنية على شكل صف واحد طويل يشبه عربات القطار، وغالبا ما تكون المنازل منخفضة ومكونة من طابق واحدة أو طابقين. وتحتوى البيوت على شقق وحجرات ذات أفنية مشتركة. والبيوت كانت مبنية من الحجر([٣٨])

ويقدم الأديب فى روايته واقع تجمع يهود تونس فى حى واحد يجمعهم ، فيعيش البطل وعائلته داخل حارة اليهود ، كما يحرص الأديب على وصف منازل اليهود بها

"גרנו בקצה סימטת טרפון' בחדר קטן שבו נולדתי, שנה אחת אחרי כלה אחותי. חלקנו עם משפחת ברוך את קומת הקרקע של בנין ישן וחסר צורה ' מין דירה בת שני חדרים' המטבח חציו מקורה וחציו חצר. ([٣٩]) "

"سكنا فى نهاية حارة تربون فى حجرة صغيرة ولدت بها، بعد أختى كالا بعام، اقتسمنا مع أسرة باروخ طابق أرضى فى بناية قديمة بلا معالم ، فى شقة مكونة من غرفتين، المطبخ نصفه مسقوف ونصفه فناء "

يضع الكاتب القراء أمام طبيعة السكن الذى يعيش فيه معظم يهود تونس؛ حيث الحياة فى حارة اليهود وفى منزل بسيط وشقق بسيطة جدا تكاد تصل إلى حجرة واحدة لعائلة كاملة. وهو ما يجعل الأديب يضع تطلعات وأحلام لأبطاله للعيش فى سكن أفضل وهو ما يقدمه فى روايته

"יצאנו מסימטת טרפון כשנעשיתי בר מצוה . מכבר היה אבי חולם על שכירת חדר גדול יותר. והנה הרתה אמי שוב והמצב הגיע עד משבר כאשר בנה הדוד ארון' אחיה הבכור של אמי' את בנינו ובו קבלנו דירה קטנה.. אמי בעברה אל הסימטה ، נמצאה מגשימה חלום ישן. היא גרה יחד עם משפחתה. בקומת הקרקע אמה, הדוד ארון ואשתו, אחותה פומה, אחיה פילקש ואשתו. ([٤٠])"

"خرجنا من حارة تربون عندما وصلت لسن الثالثة عشر. كان أبى يحلم بتأجير غرفة أكبر. وحملت أمى ثانية وصار الوضع متأزما عندما بنى الخال أرون أخوها الكبير منزله وحصلنا فيه على شقة صغيرة. أمى بانتقالها إلى الحارة حققت حلما قديما؛ فقد سكنت مع أسرتها. فى الطابق الأرضى أمى والخال أرون وزوجته وأختها فوما ، وأخيها فيلكس وزوجته."

يوضح هنا الأديب حقيقة أن اليهود كانوا ينتقلون من مكان لآخر لكن هناك حرص على السكن فى حارة خاصة باليهود. فعائلة البطل حريصة كل الحرص على السكن فى حارة تربون الذى يسكنها اليهود فقط، أو الحارة المعروفة بالجيتو وهى حارة يهود. كما يعكس حرص الفرد على السكن فى منزل العائلة كحرص الأم على السكن مع عائلتها. ويؤكد الأديب على مدى بساطة السكن الذى يعيش فيه اليهود الذين يعيشون فى الحارة حيث السكن المكون من حجرة واحدة أو شقة صغيرة جدا

" חדר השמוש משותף לכמה משפחות.אמנם יש לנו רק חדר אחד، אבל אין אנו אלא שתי משפחות למטבח אחד וחדר שמוש אחד. ואנו נהנים ממים זורמים מן המשאבה שברחוב. ([٤١])"

" حمام مشترك لعدة أسر. حقا لدينا حجرة واحدة فقط ، لكن نحن لسنا سوى أسرتين ولدينا مطبخ واحد وحمام واحد ، وننتفع من المياة المتدفقة من المضخة التى فى الشارع"

يقدم هنا الأديب طبيعة الحياة والسكن داخل حارة اليهود؛ حيث الحياة البسيطة البدائية فالبيوت بسيطة للغاية والحمامات والمطابخ مشتركة بين عدة أسر، وتحتوى الحارة على مصدر واحد للمياة وهى طلمبة واحدة ينتفع بها الجميع .

يحاول الأديب فى الرواية التأكيد دائما على مدى بساطة السكن داخل حارة اليهود التى تكتظ بالبشر ؛ فالحياة فيها غير آدمية ومستوى السكن متدنى. ولكن من الجدير بالذكر إن اليهود قد اختاروا التجمع والسكن داخل الحارة طواعية غير مجبرين أو مرغمين على السكن فى هذا الحى تحديدا أو السكن منعزلين فى حى خاص بهم بعيدا عن بقية السكان ، لكن على ما يبدو أنهم فضلوا الحياة منعزلين فى سكن خاص بهم هم فقط وهى ظاهرة طبيعية.([٤٢])

رغم تفضيل اليهود الانعزال داخل الجيتو ، إلا انه فى العقود الأخيرة وفى ظل انتشار الثقافة الفرنسية ظهر اتجاه جديد بين البرجوازية المتوسطة والعليا وأصحاب المهن الاختصاصية الذين حصلوا على مستوى عالى من التعليم واحتلوا مراكز اقتصادية كبرى لترك الحارات المزدحمة وتحقيق مستوى أفضل من الحياة الاجتماعية.([٤٣])

ورغم تركيز الأديب فى روايته على تقديم حياة أبناء الطبقات الدنيا وسكنهم داخل الحارة إلا أنه لم ينسى الإشارة فى روايته إلى وجود أماكن سكن أخرى يعيش فيها اليهود بعيدا عن الحارة وهى الأحياء الفخمة التى تقطنها الأسر الثرية

"הפרעות לא הגיעו מעולם אל השכונות היפות، מקום שם עמדו בתי יהודים، מוסלמים ונוצרים אלה בצד אלה. (٤٤)"

"لم تصل الاضطرابات مطلقا إلى الأحياء الفخمة حيث توجد هناك منازل اليهود والمسلمين والمسيحيين مجاورة لبعضها البعض"

ينبغى الإشارة إلى أن الأديب فى قضية سكن اليهود بتونس ركز على سكن الطبقة الدنيا فى الحارة وأشار إشارات عابرة إلى وجود يهود أثرياء سكنوا فى أحياء ثرية مع المسلمين الأثرياء.

- الأعمال التى مارسها يهود تونس

برز يهود تونس فى مجال الاقتصاد لما عرف عنهم من اهتمام تاريخى بالتجارة والنشاط الصناعى الفردى. كما أن حصول اليهودى على مستوى مقبول من التعليم الحديث ساعده على دخول الصناعات الحديثة وتمتعهم بالفرص التدريبية المهنية التى أعدتها الأوروبية فى تونس. وساعد هذا على عمل اليهود فى فروع الصناعة الحديثة بتونس مثل أعمال النسيج وصناعة الجلود والمعادن والأخشاب وصناعة الورق والطباعة وغيرها.

ومن ناحية التصنيف الرئيسى لطبيعة الأعمال التى توزعوا عليها يلاحظ أن اليهود توزعوا على الأعمال الصناعية التجارية والحرة. ففى الميدان الصناعى منهم ٩٢٦٥ عاملا ، أى بنسبة ٤٦,٥ من مجموع العاملين اليهود. (٤٥)

فيما يخص العاملين منهم بالميدان التجارى فيبلغ عددهم ٦٥٩٤ فردا منهم ٣٨٠ فى البنوك وشركات أكثر من نصفها بالعاصمة وحدها بين تجار المواد الزراعية وباعة الأطعمة وبقالين، وباعة الأقمشة والملابس وقصابين وخياطين وسماسرة وأصحاب مطاعم أو متاجر أو موظفين شركات. أما فيما يخص الوظائف الحكومية والعامة فهم موزعون على الشئون المالية

والاقتصادية والاجتماعية. ونسبتهم فى هذا الميدان ضئيلة ؛ فمنهم٣٢٠ موظف يهودى طبقا لإحصائيات عام ١٩٤٦. أما فى المجال الزراعى فقلة منهم تشتغل فى الزراعة فى تونس.([٤٦])

ويقدم الأديب فى روايته نماذج من مجتمع يهود تونس تمارس أعمالا مختلفة، فيقدم والد البطل ألكسندر بن علوش الذى يمتلك حانوتا وزوجته تمارس أعمال المنزل

" אבי בחנות، אמי במטבח، ואנו השתלטנו על הסימטה. ([٤٧])"

" أبى فى الحانوت ، أمى فى المطبخ ، ونحن نسيطر على الحارة . "

ويستعرض هنا الأديب نموذج العمل المنوط لأفراد الأسرة؛ فالأب ينطلق لعمله والأم ربة منزل تقوم بأعمال المنزل والأطفال الصغار يلعبون مع سائر الأطفال فى الحارة. ويؤكد الأديب على طبيعة العمل الذى يمارسه الأب وهوالعمل فى الحانوت الذى يمتلكه.

" לאבי היתה חנות([٤٨])"

"كان لأبى حانوت"

ويقدم الأديب شخصية جوزيف الذى يعمل عاملا لدى ألكسندر صاحب الحانوت

" היינו מחכים לג'וזף הנאמן. זה עשר שנים היה פועלו היחיד של אבי، התכחש למוצאו האיטלקי، שנה את שמו מג'וזף ליוסף' והיה אחד מהמשפחה. היה איש האימונים בחנות ([٤٩])"

"كنا ننتظر جوزيف المخلص . كان عامل أبى الوحيد منذ عشر سنوات . تنكر لأصله الإيطالى . غير اسمه من جوزيف إلى يوسف . كان واحدا من الأسرة، كان رجلا مخلصا فى المحل "

كما قدم الأديب فى روايته شخصيات يهودية بسيطة تسكن الحارة وتمارس أعمالا حرة بسيطة تتفق وطبيعة حياتهم البسيطة ، منهم من الإسكافى ومنهم الساعاتى.

"אלה אחרי אלה היו באים ידידי ערב שבת שלנו، דידך הסנדלר، חמאינו השען ([٥٠])"

"كان أصدقائى يقبلون يوم السبت واحدا تلو الآخر ، ديداخ الإسكافى، حمانيو الساعاتى"

وهكذا نجد أن الأديب قدم فى روايته شخصيات بسيطة من داخل الحارة ، كلها تمارس أعمال حرة بسيطة . أما خارج الحارة فيسير الأديب على نفس النمط فيقدم حارس المدرسة شاؤل

" שאול שוער בית הספר([٥١])"

"شاؤل حارس المدرسة"

من الجدير بالذكر أن الأديب فى روايته لم يتطرق إلى طبقة اليهود التجار فى تونس وركز على الأعمال البسيطة التى يشغلها أصحاب الطبقة الدنيا من أهل الحارة. وتناسى وجود طبقة مهمة بين يهود تونس وهى طبقة التجار ؛ حيث عمل الكثير منهم فى التجارة الدولية وبخاصة الذين تعود جذورهم إلى مدينة ليفورنو الإيطالية. والتجار الذين مارسوا التجارة الداخلية كتجار الجلود وغيرهم.([٥٢]) لكن الأديب ركز على الأعمال الحرة البسيطة جدا ليثبت مدى صعوبة حياة اليهود فى تونس ومعاناتهم.

- المستوى المعيشى ليهود تونس

تدل الإحصائيات التى جمعت عن يهود تونس أنهم مارسوا جميع الأشغال مما يدل على تنوع مستوياتهم الاجتماعية والمعيشية فمنهم الفقراء ومنهم الأثرياء. إلا أن الأديب فى طرحه لحياة يهود تونس المعيشية قدم لنا نموذجا واحدا من المستوى المعيشى الاجتماعي فقط ؛ وهى نماذج الأسر البسيطة التى تعيش داخل حارة اليهود التى تمارس مهنا بسيطة وتعانى الحاجة والعوز. فنجد الأديب يقدم لنا أسرة مرخاى وهى أسرة بسيطة تعانى الفقر

"גם אנחנו עניים، אנחנו כמו פאג'י שולם. אני עני כמו פאג'י שולם .אבל אין חרפה להיות עני، וחטא הוא ללעוג לעניים([٥٣]) "

"نحن أيضا فقراء مثل فاجى شولم. أنا فقير مثل فاجى شولم .. لكن ليس من العار أن تكون فقيرا ولكن الخطأ هو أن تسخر من الفقراء"

ويؤكد الأديب على لسان بطله مردخاى على المستوى الاجتماعي البسيط، والمستوى المعيشى المتدنى ؛حيث الفقر والجوع والحرمان.

"אבי היה נאנח תמיד ועורך תכניות של קיצוצים. כיון שאנחנו מרובים, הרי כל ארוחה עולה ביוקר רב. די יהיה שלא נאכל אחת לשבוע כדי להגיע לחסכון. (٥٤)"

"كان أبى يئن دائما ويعد الخطط للاستقطاع. ولأننا كنا كثيرون، فكانت كل وجبة تكلف الكثير وغالية. وكان يكفى ألا نأكل ونشبع لكى نستطيع أن نوفر "

يعرض هنا الأديب مستوى الفقر الذى تعانى منه الطبقات الدنيا من يهود تونس، فالفقر يسود ويفرض ظلاله على الأسرة فلا يأكلون حتى الشبع. ويعكس الأديب هنا أن الأسرة فقيرة وعدد أفرادها كثيرون وهو ما يمثل عبىء على رب الأسرة .

ومن خلال عرض الأديب لظاهرة الفقر المنتشرة بين أهل الحارة ، فإنه يرى أن الفقر يدفعهم إلى التكافل الاجتماعي فيما بينهم كفقراء، فالأهل والأصدقاء فى الحارة يساعدون بعضهم البعض. ورغم الفقر والحاجة تقدم أسرة مردخاى الفقيرة العون والمساعدة لأسرة فاجى البائسة

"הקריבה את הבגדים אל המנורה, בחנה אותם והחליטה: אפודה אחת ושני זוגות מכנסים וכותונת אחת משלי, שמלה אחת, אפודה אחת ושני זוגות מכנסים של כלה.

מדוע את נותנת לו את הבגדים שלנו?

אמי : מפני שהם עניים. (٥٥)"

" قربت الملابس إلى اللمبة وفحصتها وقررت: بلوفر وسروالين وقميص وكلها لى، وفستان وبلوفر وسروالين لكالا .

قلت لماذا تعطيه ملابسنا؟

قالت أمى: لأنهم فقراء."

رغم أن الأديب يعكس حالة الفقر المنتش بين أهل الحارة ، إلا أننا نلاحظ قيمة اجتماعية مهمة وهى التكافل الاجتماعى بين أهل الحارة ، وتربى الأسرة أطفالها على تلك القيم الاجتماعية

"אין זה בושה ללבוש בגדי אחרים، רוב הכותנות שלך، זוגות מכנסיך היו שייכים תחילה לבנו של הדוד פנחס. ראה את אלה התקנתי לך משאריות של הדוד אליאס. גם את כלה، ואני עצמי לבושות בגדים ישנים ([٥٦])"

"لا عيب أن نرتدى ملابس الآخرين ؛ فمعظم قمصانك وسراويلك كانت ملكا لابن عمك بنحاس. انظر إلى تلك أصلحتها لك من بقايا العم إلياس. ونفس الشيء بالنسبة لكالا. وأنا نفسى أرتدى ملابس قديمة أيضا."

يعكس الأديب هنا التكافل الاجتماعى فى مجتمع يعانى الفقر والحاجة؛ فأسرة مردخاى تتلقى المساعدات والملابس القديمة من الأخوال والأعمام وفى نفس الوقت تقوم نفس الأسرة بالعطف على أسرة فاجى ، وهكذا الحال بين فقراء حارة اليهود . حياة بسيطة مستوى اجتماعى بسيط ومستوى معيشى متدنى يعانون الفقر والحرمان ، لكنهم فى نفس الوقت يعطفون على بعضهم البعض.

- انعكاس المستوى المعيشى على الأبناء

أثرت حالة الفقر والحرمان التى تعيشها الأسر اليهودية ،كما صور الأديب، على أفراد الأسرة جميعا؛ حيث أجبرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة الأسرة على الاعتماد على الأبناء الصغار الذكور وهم فى سن الطفولة للمشاركة فى إعالة الأسرة ، ليكونوا مصدر للرزق فى الأسر الفقيرة.

" ובלי שדרש זאת ברור، עזבו הילדים לאחר כל את בית הספר בזה אחר זה בהקדם. יגעים משמוע יום יום כי הם למשא חשו את עצמם אשמים ונשאו נפשם בעצמם לעבודה. כאשר היו מסימים את הששית. ([٥٧])"

"بدون أن يطلب هذا صراحة ترك الأولاد بعد ذلك المدرسة مبكرا جدا واحد تلو الآخر. فهم متعبون يوميا من سماع أنهم عبىء. شعروا بالذنب والتحقو بالعمل بأنفسهم بمجرد أن أتموا سن السادسة"

ويكشف هنا الأديب الدوافع الأساسية لخروج الأطفال فى سن مبكرة من الدراسة والتوجه إلى العمل، حيث إنهم يشعرون بالذنب تجاه الأسرة التى تعانى من الفقر المدقع . فيشعر الأبناء بأنهم عبىء على أسرهم، فيشعرون بالذنب وبضرورة ترك الدراسة والخروج للعمل للمساهمة فى نفاقات الأسرة. ويؤكد الأديب على مسئولية الأبناء الذكور فى إعالة أسرهم

"אצל כל בעלי המלאכה חייבים הבנים להשתתף בתקציב המשפחה. עדין לא עלה בדעתי כי אפשר לפטור עצמי מאחריות לאחי ואחיותי، שאינם אוכלים לשבעה، שבגדיהם בליים، שהם מקדימים לנטוש את לימודיהם، בזה אחר זה.([٥٨])"

"لدى أصحاب الحرف يلتزم الأبناء بالمشاركة فى ميزانية الأسرة. لم يخطر على بالى بعد أنه يمكن أن أفصل نفسى عن تحمل مسئولية إخوتى وأخواتى الذين لايأكلون حتى الشبع وملابسهم بالية، وأن يبادروا بترك دراستهم هذا بعد ذاك "

ويعكس هنا الأديب التزام الأبناء فى الأسر الفقيرة بتحمل مسئوليات الانفاق. فيتركون دراستهم ويضحون بمستقبلهم الدراسى للمساهمة فى الإنفاق على الأسرة. ويرى الأديب على لسان بطله أن هذا التزام وواجب من قبل الابن الطفل الصغير السن مادام أكبر إخوته . ويعد اعتماد الأسرة على الأولاد تقليدا مهما لدى الأسر الفقيرة ، وبخاصة إذا ما كان رب الأسرة من أصحاب الحرف فلا يجد غضاضة من الاعتماد على أطفاله الصغار فى إعالة الأسرة ، مما يدل على تردى الوضع الاجتماعى والاقتصادى للطبقات الدنيا التى تسكن الحارة وتعانى من مستوى معيشى متدنى .

ثالثا: الوضع التعليمى والثقافى ليهود تونس

- الوضع التعليمى

تمتع اليهود فى تونس بمقدار وافر من التعليم وبفترة زمنية مبكرة مقارنة مع بقية أبناء البلاد؛ حيث سعى اليهود إلى إنشاء مدارس تعليمية خاصة بهم من جهة ، ومن جهة أخرى فقد استفادوا من المدارس الأجنبية لتعليم أولادهم فيها.

كذلك استفاد يهود تونس من المدارس اليهودية ذات الصفة العالمية ، فأنشأ الاتحاد الإسرائيلى العالمى "الإليانس"([٥٩]) والذى مقره الرئيسى باريس مدرسة خاصة به ليهود تونس فى ١٨٧٨ ثم تلتها عدة مدارس. ولوحظ إقبال جاد ومتزايد على هذه المدارس.([٦٠])

لعبت مدارس الإليانس دورا مؤثرا فى زيادة وسرعة تعلم اليهود بعد إعلان الحماية الفرنسية فى ١٨٨١ حيث بدأت السلطات المحلية بدعم هذه المدارس ماديا. كما أنشئت عدة فروع لمدارس فرنسية فتحت أبوابها لليهود. ولم يكن تعليم الأطفال اليهود مقصور على المدارس الخاصة بهم، بل شجعت السلطات المحلية اليهود على الأقبال على المدارس العمومية.([٦١])

يعكس الأديب أهمية التعليم عند يهود تونس وبخاصة فى ظل انتشار المدارس التابعة للإليانس فى عهد الاحتلال الفرنسى، والتى تقدم تعليما فرنسيا على يد مدرسين فرنسيين ينشرون الثقافة الفرنسية، فيصور الأديب كيف يقبل اليهود على الدراسة بها.حيث يقبل البطل مردخاى فى فرحة على المدرسة رغم تخوفه من طبيعة الدراسة التى كانت بالفرنسية.

"היתי גדול למדי, בן שבע, כשהחליטו הורי לשלחני שמה. בנגוד לילדים הרכים שבית הספר הוא כשעשוע להם. התיפחתי לשמע הבשורה. שפת אמי היא הניב התונסי . איך יעלה בידי להבין את המורה? אינני יודע צרפתית. !

"הוא ילמדך " אמר אבי .

אבל לפני שילמדני איך אענה?

עמדתי לפני תהום,המורה לא יודע צרפתית, אני לא ידעתי אלא את ניב הארץ, איך נבין זה את זה?

בית הספר אורוות הבי לשעבר נקנו במחיר נאה וכמעט לא שונו על ידי אליאנס איזראליט יפה היה בעיני מאוד.([٦٢])"

"كنت كبيرا إلى حدا ما ، أبلغ السابعة، عندما قرر والداى إرسالى إلى هناك ، وعلى عكس الأطفال الصغار بالنسبة لهم المدرسة هى مجرد تسلية. صحت عند سماع البشرى . لغتى الأصلية هى اللهجة التونسية فكيف سأفهم المدرس؟ فأنا لا أفهم الفرنسية !

قال أبى إنه سيعلمك .

لكن قبل أن يعلمنى كيف سأجيب؟

واجهت مشكلة فالمعلم لا يعرف إلا الفرنسية، وأنا لا أعرف إلا لهجة البلد كيف سيفهم كلا منا الآخر؟

مدرسة أورفوت هابي سابقا تم شراؤها بمبلغ جيد من قبل الاتحاد الإسرائيلى العالمى الإليانس بمبلغ جيد ولم يقم بتغيير اسمها،كانت فى نظرى جميلة. "

يوضح هنا الأديب جهود الاتحاد الإسرائيلى العالمى الذى قام بإنشاء مدارس وشراء مدارس لتعليم اليهود ، كما يعكس طبيعة الدراسة فى تلك المدارس ، وهى باللغة الفرنسية التى تختلف عن اللغة العربية التى يتحدث بها يهود تونس مما يشكل صعوبات كبيرة للدارس فى بداية دراسته قبل أن يألف الدراسة بالفرنسية.ويؤكد الأديب على انتشار المدارس التابعة للإليانس بين يهود تونس حتى داخل الحارة الخاصة باليهود ،الجيتو، وتقديمها المعونة والتعليم معا.

"בית הספר של "כל ישראל חברים"(אלייאנס) שהיה עומד בלב הגיטו שם היו נותנים סעודת צהרים חינם, ואפילו מלבושים ([٦٣])"

"يقدمون فى مدرسة منظمة "كل بنى إسرائيل أصدقاء" الإليانس التى تقع داخل الجيتو وجبة الغذاء وملابس أحيانا"

لقد كانت مدارس الإليانس هى أمل وحلم الجيل الصاعد من يهود تونس ، وهو ما يعبر عنه الأديب على لسان بطله المتطلع لمستقبل تعليمى أفضل

" צריך היתי ללכת אל בית הספר התיכון בשנת הלימודים שלאחר בר מצווה שלי.

השתוקקתי תשוקה עזה להיות רופא

הדוקטור נשאר בעינינו קוסם ([٦٤])"

" كان يجب أن أذهب إلى المدرسة الثانوية فى العام الدراسى التالى لبلوغى الثالثة عشر سن التكاليف.

تطلعت بشدة لأكون طبيبا . ففى نظرنا ظل الطبيب جذابا"

يؤكد الأديب على تطلعات الصبية اليهود الدراسية ثم يضيف بعدا اجتماعيا فى قضية التعليم وهو تشجيع الطائفة للطلاب المتميزين ومساهمتها فى مصاريف الدراسة لهم تحت رعاية جمعية الإليانس

"האדון המנהל שהה שהיה חגיגית، אין עתה אלא לשמוע את דעתי. אם רוצה אני להקדיש עצמי ללימודים הקהילה האיזראליטית של תוניס תקבל עליה ، לפי הצעת "כל ישראל חברים" לשלם את דמי לימודי בתיכון ואחר באוניברסיטה. ([٦٥])"

"جلس السيد المدير جلسة احتفالية. يجب سماع رأيى الآن فإذا ما وهبت نفسى للدراسة . فالطائفة الإسرائيلية بتونس ستأخذ على عاتقها وفق اقتراح جمعية " كل إسرائيل أصدقاء" الإليانس دفع مصاريف دراستى فى الثانوية وبعدها فى الجامعة"

يبرز هنا الأديب دور مؤسسات الطائفة وقيادتها فى النهوض بتعليم أبناء الطائفة من خلال كفالة البعض من أبناء الطائفة والإنفاق على تعليمهم فى الثانوية والجامعة. ومن الجدير بالذكر أن جمعية الإليانس العالمية قد لعبت دورا مهما فى إطار الصراع الثقافى ؛ فنشرت مجموعة من مدارسها فى بلاد الشرق وفى تونس، وكان هذا هو الحدث الأهم الذى له انعكاسات مهمة على يهود تونس. وكان نشاط الإليانس فى تونس حجة وذريعة لتوطيد تغلغل فرنسا فى تونس وبسط سيطرتها الثقافية على البلاد. وكانت الإليانس بالنسبة ليهود تونس تحمل بشرى كبيرة ومهمة حيث إنها غيرت أوضاع اليهود تماما.([٦٦])

لذلك فلا عجب أن تقدم هذه الجمعية كل العون لليهود وبأشكال مختلفة لتقديم تعليم حديث لليهود ولتحقيق فكرة نشر الثقافة الفرنسية. ويعتبر الكاتب أن طريق بطله الحقيقى يكمن فى الدراسة واستكمال دراسته فلا يكتفى بالثانوية ولكنه يتطلع بعد انقشاع غمام

الحرب العالمية الثانية إلى استكمال دراسته فى الجامعة. ولأن تونس والجزائر كانتا تقعا تحت وطىء الاحتلال الفرنسى ويهود الدولتين تلقوا تعليما فرنسيا فالبطل ينطلق من تونس إلى استكمال دراسته فى الجامعة بالجزائر.

" שאלתי כמה ספרים מספרייה הצבורית ושוב נסיתי כוחי בלימודים. הנה נתפרסמה הודעה מטעם הממשלה הזמנית של אלג'יר، שוב נאספנו אל חיק האוניברסיטה، והבחינות עתידות להתחדש כעבור חדשיים ימים. מתוך כך באתי לגמר החלטה אולי זוהי הדרך הנכונה ביותר להמשיך בלימודים ולסיימם להיות מורה לפילוסופיה כאשר שאפתי ([٦٧])"

" استعرت عدة كتب من مكتبة عامة وجربت قدرتى أيضا فى الدراسة. وقد نشر إعلان من قبل الحكومة المؤقتة للجزائر . سأعود ثانية إلى حضن الجامعة. وستستأنف الاختبارات بعد شهرين. من هذا المنطلق قررت أنه ربما يكون الطريق الصحيح هو مواصلة دراستى وإتمامها وأن أكون معلما للفلسفة كما تمنيت"

يؤكد الأديب على اهتمام بطله بالتعليم وسعيه لاستكمال دراسته الجامعية، والانتقال إلى الجزائر التى أقيمت فيها حكومة مؤقتة شجعت التعليم الجامعى واستئناف الدراسة فى الجامعة. فيقوم البطل مردخاى بمواصلة دراسته الجامعية فى جامعة الجزائر

"החלטתי לחדש את לימודי שנפסקו. באלג'יר הבירה הזמנית . שלחתי את דמי וקניתי מחברות חדשות. ששה שבועות לפני הבחינות הייתי לומד ברצינות ובאתי אלג'יר לבדוק את המקורות בספריות ולשמוע כמה הרצאות.([٦٨])"

" قررت استئناف دراستى التى توقفت فى الجزائر العاصمة المؤقتة. أرسلت المصاريف واشتريت كتيبات جديدة. كنت أدرس بجدية قبل الاختبارات بستة أسابيع ، وأقبلت إلى الجزائر للبحث عن المصادر فى المكتبات وسماع عدة محاضرات."

هكذا نجد أن الأديب حرص على تقديم تطلعات يهود تونس للتعلم وإقبالهم على الدراسة. إلا أنه اهتم بنوع واحد فقط ، يبدو أنه النوع الذى تلقاه هو نفسه، وهو الدراسة فى مدارس الإليانس التى قدمت تعليما فرنسيا متجاهلا المدارس الإنجليزية التى كانت موجودة فى تونس، ومتجاهلا تماما التعليم الحكومى الذى استوعب أيضا الكثير من يهود تونس.([٦٩])

كما تجاهل المدارس التابعة للطائفة. ويبدو أن الأديب حرص على طرح نوعية الدراسة التى تلقاها هو نفسه فى روايته

ـ الوضع الثقافى

اعتبرت الإليانس ثقافة فرنسا الطريق الوحيد لاستقلال اليهود فى بلاد الشرق. وحظيت الإليانس باهتمام بالغ بين يهود العالم الإسلامى، وكان لها دورا تعليميا وثقافيا كبيرا . وبعد مرور فترة من الاحتلال الفرنسى وتطلع اليهود للثقافة الفرنسية التى تقدمها الإليانس اعتبر اليهود الثقافة الفرنسية الوسيلة الوحيدة لتحرير الإنسان اليهودى فى تونس. وحمل يهود تونس الثقافة الفرنسية نتيجة التعلم الفرنسى وساد بين الشباب الثقافة الأوربية الغربية.

يعكس الأديب مدى انتشار الثقافة الفرنسية بين الشباب من يهود تونس والذين تلقوا تعليما فرنسيا، فبعد أن كانت الفرنسية تمثل عائقا أمام جيل الآباء لأنهم حملوا لغة وثقافة البلد الذى آواهم ،تونس، وبعد أن مثلت عائقا أما الصبية فى بداية دراستهم فى مدارس الإليانس بمرور الوقت صارت العربية هى لغة غريبة على جيل الشباب والفرنسية وثقافتها بمثابة اللغة الأولى لهم ، وهو ما يعبر عنه الأديب على لسان بطله مردخاى الذى كان يخشى عدم وجود لغة مشتركة مع المعلم قبل دخوله المدرسة لكنه وجد نفسه بعد الدراسة لايجد لغة مشتركة مع عربيته ومع ماضيه

"חושב אני בצרפתית ، וכשאני דן ביני לבין עצמי עושה אני זאת בלשון הצרפתית. כשאני משוחח לפעמים בניב המקומי יש בי תמיד הרגשה מוזרה، לא כשל אדם המדבר בשפה זרה، אלא כאילו היתי שומע איזה חלק עמום מתוכי، מוצנע، וישן נושן، שנשתכח ממני עד כדי זרות . לא היו בערבית יהודית שלי די מילים להביע את כל מה הכינותי.(٧٠) "

"أنا أفكر بالفرنسية . وعندما أتناقش بينى وبين نفسى أفعل هذا باللغة الفرنسية. وعندما أتحدث أحيانا باللهجة المحلية لدى شعور غريب دائما ، ليس مثل الإنسان الذى يتحدث لغة غريبة، ولكن كما لو كنت استمع إلى جزء غامض من داخلى، مستتر وقديم نسى حتى الغربة. لم تكن فى عربيتى اليهودية كلمات كافية للتعبير عن كل ما أريد."

عبر الأديب هنا عن مدى تأثر اليهود بالثقافة الفرنسية الغربية التى تلقوها فى المدارس الأجنبية فى ظل الاحتلال الفرنسى، مما أدى إلى سيطرة الثقافة الفرنسية على عقول وفكر جيل الشباب، وصارت أقرب لهم من اللغة العربية وثقافتها وهى لغة البلد الذى آواهم ولغة آبائهم وأجدادهم. ويؤكد الأديب على سيطرة الثقافة الغربية على جيل الشباب من يهود تونس

"כצלמה של העיר כן היה גם בית הספר רב גוני، היו לי חברים צרפתים، תוניסים، איטלקים، רוסים، מלטים، וגם יהודים. יהודים אלה בני דור שני לתרבות מערבית، שהיו מלעיגים כמו אחרים על מבטא הגיטו.([٧١])"

"مثل صورة المدينة كانت أيضا المدرسة متنوعة. كان لدى زملاء فرنسيين، توانسة، إيطاليين، روس، ملطيين، وكذلك يهود. هؤلاء اليهود هم الجيل الثانى للثقافة الغربية والذين كانوا يسخرون مثل الآخرين من لهجة الجيتو"

يقدم هنا الأديب التطور الثقافى الذى حل على فكر وثقافة جيل الشباب من يهود تونس، والذين كانوا الجيل الثانى الذى نشأ فى ظل ثقافة غربية، فكانت النتيجة الطبيعية ظهور فجوة بين ثقافة ولغة هذا الجيل من الشباب وثقافة ولغة الآباء والأجداد التى سادت الجيتو. وصارت لغة الأجداد مادة للسخرية والاستهزاء من هذا الجيل الذى حمل الثقافة الغربية.

ويبدو أن الأديب يتجه نحو اتجاه واحد فقط وهو الثقافة الغربية التى سيطرت على حيل الشباب اليهود متناسيا أمرا مهما ؛ وهو حقيقة وجود تناغم ثقافى بين الأغلبية المسلمة والأقلية اليهودية فى تونس. فاليهود أنفسهم يعتبرون أن اليهود اندمجوا فى مجتمع تونس فانخرطوا فى الثقافة التونسية. ويوجد مئات الفنانين اليهود التونسيين لهم الفضل فى إثراء المخزون الثقافى التونسى. كما أثرت الطائفة اليهودية فى تونس تأثيرا بالغا فى الحياة الفكرية والثقافية عموما. وخاصة أهل جزيرة جربة.([٧٢])

رابعا: أزمة الهوية لدى جيل الشباب

- التمرد على التقاليد الدينية

اعتبر التعليم الفرنسى وثقافة الغرب بالنسبة لليهود الطريق الوحيد لاستقلال اليهود وطريق الخلاص نحو حياة عصرية حديثة. ومن الجدير بالذكر أن المدارس الفرنسية ومدارس

الإليانس منحت يهود الشرق وتونس تعليما علمانيا بعيد كل البعد عن الديانة اليهودية وعن تقاليدها وقيمها الروحية والدينية ؛ مما أسفر عن جيل جديد من الشباب الصغار تهافتوا على قيم تعليمية غربية أكثر انفتاحا تختلف عن القيم الدينية والاجتماعية الموروثة عبر الأجيال. ويقدم الأديب فى هذه الرواية موقف جيل الشباب الذى نشأ فى ظل مدارس الإليانس، وتلقى تعليما فرنسيا من القيم الدينية الموروثة. حيث الرفض والانتقاد ويتضح هذا من خلال موقف الشاب مردخاى من القيم والفرائض الدينية

"גם יתכן ، חזר ואמר שתשא אישה לא יהודיה?

יתכן

אכן היתי מצהיר כל וכל. בעטתי בכל, בכל מה שרצו לכפות עלי בשרירות, כי הבלות הנהגים הללו היתה בעיני מובהקת. הבעיות הגדולות ، הערכים האמיתיים, הרצינות שבדברים נתונים במקום אחר, אלו נתגלו לפני יום יום בתיכון, בספרים,בספרות, בפילוסופיה, במדיניות, האם הולכים אנו לקראת חברה סוציאליסטית? האם עתיד המיכון להביא לידי צדק חברתי? האמנות והמוסר כלום קשורים הם זה בזה? הרי ענינים נעלים כמה וכמה לעומת השאלה אם להשתמש בחשמלית ביום השבת, יצאתי מגדרי בהיוכחי כי דעתי נתונה ، כי הנני מפגע להבלי קדושה אלה.([٧٣])"

" كرر هل من الممكن أن تتزوج من إمرأة غير يهودية؟

ممكن

حقا كنت أعلن عن كل شيء. ركلت كل شيء وكل ما أرادوا فرضه على بالقوة بعد أن اتضح لى تفاهة تلك التقاليد. فالمشاكل الكبرى والقيم الحقيقية الجادة كلها تكمن فى موضع آخر وتجلت أمامى فى الثانوية وهى فى الكتب وفى الفلسفة والأدب وفى السياسة. وهل نحن نسير نحو مجتمع اشتراكي؟ وهل مستقبل التقنية سيؤدى إلى عدل اجتماعى؟ الفن والأخلاق بأي حال يرتبطون ببعضها البعض؟ تلك أشياء أسمى وأهم من السؤال هل نستخدم الترام فى يوم السبت. تحمست فى نقاشى ورأيى محدد وهو أننى استهين بتلك السخافات ذات القدسية ."

يوضح لنا الأديب فى حوار ساخن وجدال متشابك التباين الشاسع بين مردخاى ،الذى يمثل جيل الشباب الذى تلقى تعليما علمانيا فى مدارس الإليانس التى تجاهلت دراسة الدين، وبين والديه ،واللذين يمثلان الجيل القديم من يهود تونس ذلك الجيل الذى تربى على قدسية الدين واحترام التقاليد الدينية والفرائض. ويرى أن ذلك التباين بين الجيلين انعكس فى نظرة كل منهما للدين وفرائضة. فالجيل الجديد أصبح بعيدا عن البيئة التقليدية اليهودية ورأى أن فرائض الدين والالتزام مجرد سخافات وتفاهات لا قيمة لها؛ فمسألة الزواج من غير يهودية أو انتهاك حرمة السبت كلها تفاهات لا قيمة لها. بل إن إعمال العقل فى العلوم الدنيوية كالأدب والفلسفة والفن أهم من التفكير فى سخافات القيم الدينية والمحرمات وكل ما هو مقدس. ولا يقف الأمر بالشباب عند حد التعالى على القيم الدينية بل إن الشاب فى جرأة غير معهودة فى المجتمعات الشرقية المحافظة يجاهر بأفكاره العلمانية أمام والديه

"אני משער שלא תמול את ילדיך?
כן، כן، כן
אינני יודע، השיבותי לאחרונה
הפסקני בכך، אבי מדוכא ([٧٤])"

أتوقع أنك لن تختن أولادك؟

نعم ، نعم ، نعم

ثم أجبت أخيرا: لا أعلم

توقفنا بذلك . أبى محبط"

وفى جدل غير مالوف فى البيئة اليهودية الشرقية التى تؤمن بالمسلمات الاجتماعية من احترام الأبناء للآباء وإيمان بالقيم الدينية يتجرأ الابن على الأب والأم ويجادلهم فى القيم اليهودية ومقدساتها، فيضيف إلى سخريته من الدين والاستهانة بقدسية السبت وقضية الزواج من أجنبية بعدا آخر؛ وهو قضية الختان التى تمثل ركيزة أساسية من الركائز المميزة لليهودية واليهود. حيث لا يهتم بها جيل الشباب الذى تلقى تعليما دنيويا وبعيدا عن الدين . بل إن

الأمر تطور لديه حتى أنه لم يقف عند حد السخرية من فرائض الدين ووصل إلى حد التطاول على الإله نفسه والتبجح عليه والكفر به فقول الأديب على لسان بطله

"העזתי להצהיר כי אין אלוהים בנמצא.
אחר כך צעדתי צעד נוסף، כיצד יצהיר אדם כי אין יש אלוהים וילך לבית הכנסת؟ איזו צביעות איומה، חדלתי מעט מעט להילוות אל אבי לבית התפילה אפילו בחגי הדת הגדולים([٧٥])"

"تجرأت وأعلنت: لا يوجد إله فى الوجود

بعد ذلك خطوت خطوة أخرى . كيف يصرح إنسان بأنه لايوجد إله ويذهب إلى المعبد؟ أى تناقض حاد. توقفت عن مرافقة والدى إلى المعبد حتى فى الأعياد الكبيرة.

ويبدو أن الثقافة العلمانية التى انجذب إليها البطل الشاب جعلته يعمل عقله فى كل شىء ويخضع الفرائض الدينية اليهودية لعقله وتفكيره وللمنطق العقلى الضيق فكفر بها، واستهان بها لدرجة أن وصل به الأمر إلى التصريح بإنكار وجود الإله نفسه

"השתדלתי בפשטות לחיות מנגד ، שעה שאבי היה מתפלל ، כובעו על ראשו והסידור בידו، היה כמו נוקשה، חשתי שהוא וכולם מתבוננים בי،
ועלי להודות שכיון שלא היה בידי דבר להציע לפניהם، צר היה לי שערערתי את עולם המסורת שלהם ([٧٦])"

"ببساطة حاولت أن أعيش بطريقة معاكسة. فى الوقت الذى كان أبى يصلى ويرتدى على رأسه قبعة ويحمل التوراة فى يده ، كان عنيدا وشعرت أنه والجميع يحدقون بى

على الاعتراف أنه لم يكن فى استطاعتى أن أقدم شىء لهم . كان من الصعب على أن أقوض عالم التقاليد الخاص بهم"

يعكس هنا الأديب الفجوة الشاسعة التى ظهرت بين جيل الآباء التقليدى المحافظ على التقاليد الدينية وبين حيل الشباب الذى تربى فى ظل الثقافة الغربية فابتعد عن تقاليد آبائه وسخر من الدين واستهان به وكفر بإله الآباء والأجداد. وتمرد على اليهودية وقوض تقاليد المجتمع اليهودى المحافظ ، فاتسعت الفجوة بين العالمين عالم الآباء المحافظ على التقاليد الدينية وعالم الشباب المتمرد عليها . والقضية كما لخصها الأديب على لساب بطله

أنه قوض عالم التقاليد الدينية المحافظ وكفر بها وهو ما جعل كلا منهما ينظر إلى الآخر كما لو كن غريبا. و يعترف الأديب على لسان بطله بأن الثقافة الغربية التى تلقاها هى التى أوقعته فى تلك الأزمة وجعلته يتنكر لكل شيء بما فيها تنكره لبلده تونس الواقعة فى قارة أفريقيا

"חמש עשרה שנה של תרבות מערבית، עשר שנים של התכחשות מודעת לאפריקה (٧٧)"

" خمسة عشر عاما من الثقافة الغربية ، عشر سنوات من التنكر لأفريقيا عن وعى"

ولا شك الثقافة الغربية هى التى طبعت البطل الشاب بطابع التمرد على التقاليد الدينية التى تربى عليها اليهود وأدت إلى انفصال جيل الشباب عن تلك القيم وإنكارها.

ـ التمرد على الشرق والانجذاب نحو الغرب

يكشف ألبير ميمى فى روايته بشكل واضح عن الأزمة الثقافية وأزمة الهوية التى تواجه اليهودى التونسى فماضيه يهودى عربى ويحمل ثقافة فرنسا الغربية فيتخبط ويعانى من أزمة حقيقية ، فجيل الشباب ينتمى فى الأصل لعالم يهودى محافظ على تقاليد شرقية فى دولة عربية أقبل إليها اليهود منذ عهود غابرة فحملوا تقاليدها وثقافتها، بينما تلقى الشباب أنفسهم تعليما فرنسيا وينجذب نحو الثقافة الغربية بكل ما أوتى من قوة. ويعكس ميمى ألبير هذه الأزمة التى يعاني منها جيل الشباب اليهودى فى تونس والذى كان هو نفسه ينتمى إليه معبرا عن التمزق بين الشرق والغرب قائلا على لسان بطله:

" היהיה בי כוח להתגבר על הקרע שבי? עלתה בי תחושת קדם כי חרף כל תשוקתי להפך לפואנסו، נשקפת לי סכנה שאהיה למרו. נוכח אי אפשרות התמזגותם של שני הצדדים שבקרבי، החלטתי לבחור בין המזרח והמערב، בין האמונות האפריקאיות והפילוסופיה، בין הניב המקומי והצרפתית، נטל עלי לבחור: בחרתי בפואנסו، בלהט، בעוז. יום אחד בהיכנסי לבית הקפה ראיתי את עצמי פנים אל פנים תקפתני אימה. הייתי אני והייתי נכרי לעצמי. היה זה ראי שכיסה קיר שלם، נעשיתי נכרי לעצמי יותר ויותר מיום ליום (٧٨)"

"هل سيكون لدى القوة للتغلب على التمزق الذى بداخلى؟ نما لدى شعور قديم بالحنين لأن أتحول إلى فوانسو، ترائى لى خطر أن أكون متمردا. حقيقة لا يمكن الجمع بين الجانبين

فى داخلى . قررت الاختيار بين الشرق والغرب ، بيت المعتقدات الأفريقية والفلسفة، بين اللهجة المحلية والفرنسية. فرض على أن أختار: اخترت فوانسو بحماس وشجاعة.

ذات يوم دخلت إلى المقهى ونظرت إلى نفسى وجها لوجه فهاجمني الخوف. كنت أنا وكنت غريبا عن نفسى. كانت تلك مرآة تغطى الحائط كله. من يوم لآخر أصبحت غريبا عن نفسى أكثر وأكثر."

يصور هنا الأديب بدقة ما يعانية جيل الشباب الذى خرج من عالم الجيتو التقليدى وتلقى تعليما أجنبيا بعيدا عن الدين وعن الثقافة الشرقية المحافظة والتى تحافظ على تقاليد وقيم دينية واجتماعية حافظ عليها اليهود فى الدول العربية الشرقية على مدار آلاف السنين. فصور الأديب التخبط والتمزق الذى يعانيه الشباب ويرى أن الشباب وقع فى فخ الاختيار بين الشرق والغرب بعد تلقيه ثقافة غربية صارت أملا له وعنصر جذب فكانت النتيجة الطبيعية التى يطرحها الأديب هى أزمة الهوية التى تمثلت فى التمرد على القيم والتمزق بين عوالم يراها الأديب وبطله متناقضة مع بعضها البعض ومختلفة تماما جعلته يشعر بالغربة عن نفسه؛ فهو متخبط بين الشرق بتقاليده وقيمه الدينية والاجتماعية وبين الغرب الذى يمثل بالنسبة له التحرر والحرية والثقافة والفكر. وأن يختار بين المعتقدات الأفريقية ، ويقصد بها المعتقدات الدينية والاجتماعية التى يؤمن بها يهود تونس الواقعة فى أفريقيا، وبين الفلسفة التى تعمل على إعمال العقل والتى يدرسها له أستاذه فوانسو التى تدل على ثقافة الغرب. كما عليه أن يختار بين اللهجة المحلية وهى العربية التونسية السائدة بين يهود تونس وبين اللغة الفرنسية التى تعلمها فى المدرسة وهى لغة الثقافة التى يتلقاها .

وهذا الصراع الداخلى المتداخل والمتزايد والجاد لدى البطل ما هو إلا إحساس للأديب نفسه وصراع بحث عن هوية وهذا التخبط وتلك الأزمة المتفاقمة يحسم من قبل البطل ؛ حيث أنه يسير وراء تطلعاته ورغباته فى أن يكون غربيا لا شرقيا ولا يهوديا ويتمنى واقع غير واقعه

"הנה כן בסוף לימודי בבית הספר התיכון، ידעתי מה שאיני רוצה להיות، ובמטושטש מה מה רוצה אני להיות.לא אהיה אלכסנדר מרדכי בנילוש، אצא

מתוך עצמי ואלך לקראת האחרים. אין אני לא יהודי، לא מזרחי، לא עני، איני שייך למשפחתי ולא לדתי، חדש אני וצלול. אעצב את עצמי ، אהיה מורה לפילוסופיה. כמו פואנסו ([٧٩])"

"ها قد عرفت فى ختام دراستى فى المدرسة الثانوية ما لا أريد أن أكون. وما أريد أن أكون فهو مبهم. لن أكون ألكسندر مردخاى بن علوش . لن أكون نفسى وأسير نحو الآخرين . أنا لست يهوديا ، لست شرقيا ، لست فقيرا. لا أنتمى إلى أسرتى ولا أنتمى إلى ديانتى ، أنا جديد ونقى. سأشكل نفسى ، سأكون معلما للفلسفة. مثل فوانسو"

يستعرض هنا الأديب على لسان بطله اختيار جيل الشباب الانحياز نحو الغرب والانفصال عن الشرق ؛ حيث يقرر الخروج من عالمه الشرقى اليهودى ومن ذاته فيقرر الانفصال عن يهوديته وشرقيته ويتنكر لذاته واسمه الشرقى، وينجذب نحو عالم جديد لايلتزم فيه بأى ديانة ، بل يسير وراء عقله ودراسة الفلسفة التى تلقاها على يد معلمه فوانسو وآمن بها كبديل للدين. ويظهر التخبط جلى وواضح وأزمة الهوية لدى هذا الجيل من خلال إعلان الأديب صراحة على لسان بطله : لست يهوديا ولست شرقيا رغم أنه بالفعل يهوديا وشرقيا ، إلا أنه يتطلع إلى الخروج من عالمه والتمرد على الشرق وعلى دينه وتقاليده. ويؤكد الأديب رفضه لليهودية والشرق واختياره للغرب والتخلى عن الشرق فى صراعه حول هويته

"בחרתי במערב ודחיתי את המזרח שבקרבי([٨٠])"

"اخترت الغرب ورفضت الشرق الذى فى داخلى"

ويبدو أن الأديب يميل نحو الغرب وثقافته الفرنسية التى تلقاها هو نفسه؛ فيجعل بطله يميل نحو الغرب رافضا للشرق بكل ما فيه . ويطرح الأديب فى هذه الرواية أزمة الهوية الثقافية التى يعانى منها الجيل الأخير من يهود تونس فاليهود فى تونس بصفة عامة عاشوا فى ظل ثقافة مجتمع عربى على ما يقرب من أكثر من ١٢٠٠ عام استوعبوا لغته وثقافتة. لكن فى ظل الاستعمار الفرنسى تغير الحال فقد تلقى معظم اليهود فى تونس تعليما فرنسيا فحملوا ثقافة فرنسية غربية أدت بهم إلى الانفصال عن ماضيهم الثقافى والدينى والشرق متطلعين نحو الغرب. وقد فشلت الطائفة فى إعداد يهودى متعلم يستطيع مواجهة إغراءات

الغرب والاندماج فى ثقافة الغرب. ولم تستطع مواجهة مدارس الإليانس التى كانت لها الغلبة والسيطرة والتى قامت بتخريج آلاف الطلاب اليهود واستغلت تطلعاتهم نحو الغرب وانبهارهم بالثقافة الفرنسية. فواجه يهود تونس أزمة هوية حادة عبر عنها ألبير ميمى فى روايته بمهارة.([٨١])

خامسا: العلاقات العربية اليهودية فى تونس بين الإيجابية ودعوى الاضطهاد

ـ نظرة المسلمين لليهود

كسائر أوضاع اليهود فى المجتمعات العربية تمتع اليهود فى تونس عموما بقسط وافر من الحرية وعاشوا فى جو من التسامح تمتعوا بحرية كاملة فى القيام بشعائرهم الدينية وممارسة طقوسهم. وشاركوا فى التجارة والصناعة دون أن يتعرضوا لأية ضغوط تحول دون ممارستهم لهذه النشطة ([٨٢])

وراح قسم من يهود تونس يشعرون بوطنيتهم وقوميتهم فراحوا يشاركون فى القضايا الوطنية العربية ويرفضون الاحتلال مطالبين بالاستقلال ورفض اغتصاب الصهاينة لفلسطين وقيام دولة صهيونية على حساب الشعب الفلسطينى([٨٣])

يجسد الأديب فى روايته موقف المسلمين من اليهود وبخاصة عقب الحرب العالمية الثانية وظهور تباشير الاستقلال والحركات القومية الوطنية فى العالم العربى وتونس؛ حيث رأى المسلمون فى اليهود جزء من الوطن العربى ومن نسيج البلاد التى يعيشون بين ظهرانيها وهو ما عبر عنه التونسى المسلم بن سمعان

"בשעת ההפסקה ניגש אלי בן סמען ואמר שהוא מבקש לשוחח אתי. קבענו איפוא פגישה בעיר. הוא הודיעני שהנו המזכיר הכללי של תנועת נוער פוליטית שחבריה הם רק מבני הארץ. אחר כך הציע לי להצטרף אליה . הדבר הסב לי הנאה רבה אבל נבוכותי מאוד. הכאיבני הדבר משגיליתי שאני נעשה זר לאירופה יותר ויותר، אבל מעולם לא נתתי דעתי ללכת לקראת המוסלמים.סבור היתי כי הדרך הזאת נחסמה בפני על ידי המוסלמים עצמם.

אמר לי בן סמען ، אנחנו רוצים גם יהודים، מבקשים אנו לבטא את השאיפות של כל האומה.

אבל כלום הננו חלק מן האומה؟

ודאי ודאי איפוה נולד אביך؟ ואבי אביך؟ האם ידעתם איזו לאומיות אחרת זה דורות؟ לא؟ אם כן؟

נכון אמרתי، נולדתי כאן، כמו אבי ، וכמו אבות אבותי، ועדיין לא יצאתי מגבול הארץ، למן הולדתי. ואתה הנך סבור כי הננו חלק מאומתה.

עלינו לזרז את ההכרה באחדותם של כל בני הארץ. מדוע נמנע מעצמנו את שיתופם של היהודים، של חלק נכבד מן האוכלוסיה، פעיל، בעל השפעה וחרוץ במיוחד. (٨٤)"

"وقت التوقف اقترب منى بن سمعان وقال إنه يريد التحدث معى . حددنا لقاء فى المدينة. أخبرنى أنه السكرتير العام لحركة شبابية سياسية ، أعضاؤها هم من أبناء البلاد فقط. وبعد ذلك اقترح على الانضمام إليها. أسعدنى هذا الأمر كثيرا . ولكن كانت حيرتى أكبر. لقد ألمنى أن أكتشف بأننى غريب عن أوربا أكثر وأكثر، لكن لم يخطر على بالى مطلقا أن أخطوا نحو المسلمين . كنت اعتقد أن هذا الطريق مغلقا أمامى من قبل المسلمين أنفسهم.

قال لى بن سمعان : نحن نريد يهود أيضا . نريد أن نعبر عن تطلعات كل الأمة.

لكن هل نحن جزء من الأمة؟

بالتأكيد بالتأكيد فأين ولد أبوك؟ وأين ولد جدك؟ وهل عرفتم قومية أخرى منذ عدة أجيال؟ لا . أليس كذلك؟

قلت نعم حقا ولدت هنا مثل أبى ومثل أجدادى، ولم أخرج بعد من حدود البلاد منذ مولدى. وأنت تعتقد بأننا جزء من أمتها.

علينا أن نسرع بالاعتراف بوحدة كل أبناء البلد. ولماذا نمنع عن أنفسنا مشاركة اليهود فهم جزء متميز من السكان و نشط و له تأثير ومجتهد جدا"

يعكس هنا الأديب أمرا مهما وهو نظرة المسلمين لليهود وموقفهم منهم؛ فينظر المسلمون لليهود على أنهم جزء أصيل لا يتجزأ من الأمة التونسية ومن القومية العربية ؛ فقد ولدوا فى تونس هم وآبائهم وأجدادهم ولا يعرفون وطنا آخر .

أما يهود تونس كما يصورهم الأديب يندهشون من هذه الرؤية التى هى حقيقة واقعة، فهم يسعدون بها سعادة بالغة ولكن فى نفس الوقت يتخبطون فهذه النظرة تكشف لهم عن حقيقة

مهمة ؛ وهى أنهم يهود عرب وجزء من العالم الشرقى، وأنهم بعيدون كل البعد عن أوربا وغرباء عنها وهى حقيقة تؤلم جيل الشباب من اليهود بتونس والمتطلع للغرب. وتبقى حقيقة مهمة وهى نظرة المسلمين تجاه اليهود والتى عرضها الأديب ؛ فهى نظرة حقيقية رغم أن الأديب لم يعرضها على سبيل عرض واقع تاريخى ثابت لكنه يعرضها كجزء من مشاكل الهوية والتخبط الذى يعانى منه الجيل الشباب من يهود تونس. ونرصد فى الرواية تمسك المسلمين بنظرتهم تجاه اليهود

"היה צורך במפלגה מקומית שתביע את רגשי העם ותילחם למענו. בן סעדון דבר מתוך בטחון ביעדו ואני קינאתי בו (٨٥)"

"كانت هناك ضرورة لعمل حزب وطنى يعبر عن مشاعر الشعب ويحارب من أجله. تحدث بن سعدون من منطلق ثقته فى هدفه وأنا حسدته."

وهنا يعكس نظرة المسلمين لليهود على أنهم جزء من الوطن . فالحزب الوطنى يضم اليهود سويا مع المسلمين.

ومن الجدير بالذكر أن الرؤية التى يعرضها الأديب فى روايته ليؤكد بها غربة أبطاله اليهود فى الشرق وسعيهم نحو الغرب وأوربا وصدمتهم جاءت لتعزز دوافع الهجرة نحو إسرائيل وتعكس دون قصد من الأديب النظرة الفعلية من قبل المسلمين فى تونس لليهود على أنهم جزء لا يتجزأ من الوطن ورغبة المسلمين فى أن يشارك اليهود فى المسيرة السياسية بعد الاستقلال. وتجدر الإشارة إلى أن إشراك اليهود فى شئون الدولة بعد الاستقلال أمر كان طبيعيا فقد " تولى اليهود فى تونس المستقلة مناصب مهمة فى الدولة فتولى ألبرت بيسيس منصب وزير البناء ١٩٥٤ – ١٩٥٥ وأصبح أندريه باروخ أحد أعضاء الحكومة فى ١٩٥٦ وقد منح اليهود حق الانتخاب وكان فى اللوائح منحهم حق المساواة التامة دون تمييز وكان اليهود يتمتعون بكافة حقوقهم المدنية وكانت حريتهم الدينية مصانة.(٨٦)

ـ ادعاء اضطهاد المسلمين لليهود

ارتبط اليهود والعرب فى تونس بعلاقات تاريخية وبصفة عامة كانت العلاقات وطيدة. ورغم ما لاقاه اليهود من تعامل طيب على مر العصور إلا أن اليهود اعتادوا فى كتاباتهم على تقديم صورة مشوهة لتلك العلاقات الطيبة والادعاء بأن اليهود عانوا فى ظل الحكم الإسلامى الاضطهاد وأنه تاريخ مليء بالاضطهاد وروجوا لهذه الادعاءات فى كتاباتهم.(٨٧) ومن الطبيعى أن تلقى هذه الادعاءات بظلالها على الأدب العبرى وتلقى هوى فى نفس الكتاب اليهود؛ فنجد ألبير ميمى رغم أنه يهودى تونسى الأصل ولاقى معاملة حسنة من المسلمين، إلا أنه يروج لفكرة الاضطهاد على يد المسلمين فى روايته، فيقدم لنا عدة نماذج لهذه الاضطرابات فيقول على لسان أبطاله:

"היה הכרח לשכוח, ברחוב טרפון בעיצמו של משחק קרע ילד יהודי יום אחד את העגיל מאוזנו של ילד מוסלמי. על ידי המשיכה שיסע התכשיט את חנוך האוזן. שלושה ימים היה הרחוב שרוי במהומה, מוסלמי הרובע שמו מצור ממש על בתי היהודים: הם דחו כל פיצוי ותבעו את הילד כדי לקרוע את אוזנו.

פעם אחרת , עקב מחלוקת בין מסגר יהודי ובין לקוח מוסלמי , הפיל הלקוח את המסגר ארצה וניסה לחתוך את צווארו. (٨٨)"

" كان من الضرورى أن ننسى. فى شارع تربون أثناء اللعب قام طفل يهودى ذات يوم بقطع حلق من أذن طفل مسلم. وخلال جذبه مزق الحلق شحمة الأذن. كان الشارع لثلاث أيام غارقا فى اضطرابات ؛فرض مسلمو الحى حصارا حقيقيا على بيوت اليهود . رفضوا أى تعويض وطالبوا بالطفل لكى تقطع أذنه.

مرة أخرى عقب خلاف بين صانع أقفال يهودى وبين زبون مسلم، طرح الزبون صانع الأقفال أرضا وحاول قطع رقبته "

ويدعى الأديب قسوة المسلمين مع اليهود وأنهم يتعاملون معهم بشكل عنيف وعدم رحمة وأن أبسط المواقف بين المسلمين واليهود تؤدى إلى اضطرابات عامة ضد جميع اليهود وانتهاك حقوقهم.

"לפי המסורת רשאים הם לגנוב, לאנוס ולהרוג.. אולי התחוללה השואה בשל איזה דבר הבל, איזה ריב בין חנוני ערבי לבין קונה יהודי באיזו עיר דרומית, ובעקבותיו תגרה בין המוסלמים באותו רובע ובין עוברים ושבים יהודים. ותגרה זו הכתה הדים בערים הסמוכות ופשטה לבסוף על פני כל הארץ.([٨٩])"

"حسب التقاليد مسموح لهم بالسرقة والاغتصاب والقتل. ولقد حدثت الكارثة بسبب شيء تافه ؛بسبب شجار بين بقال عربى وزبون يهودى فى مدينة من مدن الجنوب، وفى أعقابها مشاجرة بين المسلمين فى نفس الحى وبين مارة يهود وهذا الشجار امتد إلى المدن المجاورة وانتشر فى النهاية إلى كل البلد ."

يقدم هنا الأديب صورة سلبية للعلاقات العربية اليهودية فى تونس مقدما اضهاد ضد اليهود بدون أسباب وجيهة أو منطقية. فصور الأديب صورة الجمهور المسلم كجمهور ثائر غاضب بلا دوافع أخلاقية يجعل الأمر يصل إلى ارتكاب مجازر ضد اليهود، والذى يصورهم الأديب على أنهم ضحايا أبرياء يعانون الاضطهاد. ويرى الأديب أنه مسموح للمسلمين باغتصاب اليهود وقتلهم بلا رحمة. ويؤكد الأديب على تلك الادعاءات قائلا

"ביום ההוא המציאו רודפנו משחק עבר על גבול ההתגרות. הם העלו בדעתם להצית גפרורים ולהשליכם בנו מעל לשורות. פחדנו הממשי גרם להם הנאה והם געו מתענוג. שעה שנסינו לפטור מפני הגפרורים על ידי התכופפות ، צעקן לעומתנו קיקי، קיקי، שהיה בפיהם כינוי של זלזול לכל היהודים.([٩٠])"

"فى ذلك اليوم اخترع مطاردونا لعبة تخطت حد الإثارة. لقد خطر على بالهم إشعال أعواد ثقاب وإلقائها علينا فى صفوف. سبب خوفنا الحقيقى لهم متعة. وقد صاحوا من السعادة فى الوقت الذى حاولنا الهروب من الكبريت عن طريق الانحناء، يصرخون تجاهنا كيكى كيكى، وهومصطلح للسخرية من اليهود."

يصور هنا الأديب صورة سلبية لتعامل المسلمين مع اليهود حيث السلب والسرقة والمطاردة وإثارة الرعب فى اليهود والسخرية منهم. ويرى الأديب أن كل تلك الاضطرابات

والتعامل بقسوة مع اليهود من قبل المسلمين أدى إلى عدم ثقة من جانب اليهود فى المسلمين

" מתוך ביישנות לא העזתי להוסיף באוזני בן סמען כי אם יש צורך להתגבר על האיבה המוסלמית، הנה יש צורך להפיג גם את אי האימון מצד היהודים אשר מאות שנים של פחד הקיפום בחומות עבות.

"הם אינם אוהבים אותנו" אבי היה אומר במרירות

למה אוהב בני אדם המתעבים אותי؟

הבטחתי לבן סמעאן שאהרהר בדבר. וסחתי על כך לבישור מתוך תקווה שיצטרף אלי. מיד נתקלתי בסירוב עקשני.

"אין אתה מכירם" אמר אלי، " בן סמעאן אינו מציג דבר. לך ללב הרובע הערבי ותצלול בתוך אותו המון סומא וקנאי.([٩١])"

"بسبب الخجل لم أتجرأ على القول لابن سمعان أنه إذا ما كانت هناك ضرورة للتغلب على العداء الإسلامى هناك ضرورة لمحو عدم الثقة من جانب اليهود حيث مئات السنين من الخوف والانزواء داخل أسوار ضخمة .

كان أبى يقول بمرارة "هم لايحبوننا"

لماذا أحب أناس يحتقرونى.؟

وعدت بن سمعان أن أفكر فى الأمر. وتحدثت عن هذا مع بيشور على أمل أن ينضم إلى. وعلى الفور صدمت برفض متعنت

قال لى : أنت لاتعرفهم ، بن سمعان لا يمثل شيء. اذهب إلى داخل الحى العربى وستغوص داخل ذلك الجمهور الأعمى والمتعصب."

يكشف هنا الأديب رؤيته حيث يرى أن هناك عداء إسلامى تجاه اليهود على مدار مئات السنين أدى إلى عدم الثقة من جانب اليهود وكراهية متبادلة بين الطرفين. ويتهم الأديب العرب المسلمين بأنهم متعصبون تعصبا أعمى ضد اليهود، وتعصبهم هذا يؤدى إلى قتلهم لليهود لأتفه الأسباب. ولذلك وصفهم الأديب بأنهم جمهور أعمى ومجموعة من الغوغاء تسعى للفتك باليهود دون أسباب منطقية. ولكن للموضوعية ينبغى علينا أن نقول أنه رغم

التفاهم الذى توصل إليه الطرفان المسلمين واليهود ورغم العلاقات الطيبة التى جمعتهم فى تونس على مدار القرون، إلا أنه فى فترة النضال من أجل الاستقلال وهى الفترة التى تدور حولها أحداث الرواية والاضطرابات التى يشير إليها الأديب كانت تحدث بعض أعمال عنف ضد عدد من الأشخاص والممتلكات اليهودية غير أن هذه الأعمال لم تكن ضد اليهود خاصة، إذ هى نتيجة ولاء هؤلاء اليهود لفرنسا وانحيازهم إلى الحكام الفرنسيين كما حدث فى الحزائر ومراكش.([٩٢])

كما ينبغى ملاحظة وجود يهود أجانب يتعاونون مع الاستعمار ويرسخون له. ومقاومة المستعمر أمر مشروع أيا كان يهوديا أم مسيحيا فينظر إليه أهل البلاد على أنه أجنبى مستعمر على هذا التصنيف وليس هذا تصنيف دينى وهذا الأمر مشروع جدا. ولا يعنى هذا أن المسلمين كانوا يضطهدون اليهود فى تونس الذين عاشوا معهم قرون. ومن المعلوم أن أى اضطراب عام سياسى تمر به البلاد يؤثر على جميع السكان يهود ومسلمين معا وليس يهود فقط فيعانى الشعب كله منه

ومما تجدر إليه الإشارة أن اليهود المنصفين يعترفون بأنهم يعيشون مع مواطنيهم المسلمين فى كنف السلام والمواطنة. ويمكن مشاهدة هذا التعايش فيقول المطرب والممثل ميشيل بو جناح إن المجتمع التونسى أثبت أن التعايش موجود بين المسلمين واليهود. واعترف اليهود بحماية المسلمين لهم أثناء فترة الاحتلال الألمانى النازى لتونس. وتعد جزيرة جربة بحق ركن من أركان السلام والتعايش بين العرب واليهود فى تونس. وتستحق أن يطلق عليها جزيرة التسامح.([٩٣])

سادسا: يهود تونس بين النازية ودعوى اللاسامية

- يهود تونس والنازية

أثناء الحرب العالمية الثانية وبالتحديد فى ١٤ نوفمبر ١٩٤٢ دخل الألمان تونس. ومع دخول الألمان تونس تملك اليهود الرعب فأغلقوا على الفور بيوتهم وحوانيتهم لعدة أيام. وتخفى بعض اليهود وهرب البعض خوفا على حياتهم. وراح الكتاب اليهود يحكون ويتحاكون

عن مأساة يهود تونس فى ظل الاحتلال الألمانى لتونس. فيرون أن الألمان فرضوا على اليهود غرامات مالية كبيرة وصادروا ممتلكاتهم وسلبوا بيوتهم وهدموها وقبضوا على الكثير من اليهود للاستفادة منهم فى العمل كعمال سخرة فى معسكرات العمل الألمانية.(٩٤) مما أدى إلى وفاة الكثير منهم بسبب سوء التغذية والأوبئة .(٩٥)

يستعرض الأديب فى روايته فترة الاحتلال الألمانى لتونس. ويصفها بأنها فترة صعبة ومريرة ليهود تونس وأنها تركت آثار سلبية عليهم. ويروى على لسان أبطاله أنها كارثة حلت باليهود فى تونس عانوا فيها عناء شديدا واتخذت فيها إجراءات قمعية ضدهم فتم أخذهم رهائن وصودرت ممتلكاتهم

"תחת יד הגרמנים ניחתה הטרגדיה מיד ، שוקענו בתוך מערבולת ולא יכולנו לנשום אלא לאחר שהסתלקו הגרמנים. בבוקר ، למחרת אותו ערב אכזרי שבו התיצבו המשמרות הגרמנים. בעיר המואפלת، נקט הקומנדאנטור צעד ראשון נגד היהודים. מצוידים ברשימות ערוכות היטב יצאן השוטרים הגרמנים בלוית שוטרים צרפתים לאסוף כמה מאות בני ערובה. אחר כך החלו ההחרמות הנגישות، והרציחות.(٩٦)"

"على الفور حلت الكارثة على يد الألمان ارتبكنا ولم نستطع تنفس الصعداء إلا بعد انسحاب الألمان. فى الصباح التالى لذلك المساء القاسى الذى استقرت فيه الدوريات الألمانية فى المدينة القاتمة اتخذ القائد الألمانى خطوة أولى ضد اليهود. خرج الضباط الألمان مدعومين بقوائم جاهزة وبمرافقة جنود فرنسيين لجمع عدة مئات من الرهائن. وبعد ذلك بدأت المصادرات والمناوشات والقتل."

يعكس الأديب هنا معاناة اليهود فى ظل الاحتلال الألمانى حيث تجهيز قوائم بأسماء اليهود لتجميعهم كرهائن ومصادرة ممتلكات. ولم يكتف الأديب بادعاء الاضطهاد لليهود بالذات بل يصل الأمر عنده إلى حد الاعتقال والقتل بمنتهى البساطة ودون أى مشكلة

"ידענו קורבנות، אנשים שהוצאו להורג לשם עונש، בטעות או בדרך הלצה، נשים שנאנסו، בתים שהיו לבז. הגרמנים היו יורים לתוך החלונות، אך רק לתוך חלונות היהודים. מכוניות גרמניות، נעצרות לפני בנין שדריו יהודים.

חיילים היו יורדים מהן ، חוסמים את הפתחים ופוקדים על כל שוכני הבנין להסתלק מיד. ([٩٧])"

"عرفنا ضحايا ، وتم إعدام أناس كعقاب بالخطأ أو بطريقة السخرية، نساء أغتصبت وبيوت نهبت. كان الألمان يطلقون النار داخل النوافذ وداخل نوافذ اليهود فقط. كانت عربات الألمان تتوقف أمام مبنى يسكنه يهود ، ينزل الجنود منها يغلقون المداخل ويأمرون سكان المبنى بالمغادرته على الفور."

يصف هنا الأديب ما يصيب اليهود على يد الألمان من قتل متعمد وإيذاء ووقوع ضحايا. ويؤكد الأديب مثل باقى اليهود على أمر مهم وهو أن الألمان كانوا يقتادون اليهود بعد اعتقالهم إلى معسكرات خصصها الألمان ليستغلوا اليهود للعمل بالسخرة فى المعسكرات

" ביום השמיני משערכו את כל הכנותיהם דרשו הגרמנים לכנס את כל הגברים מבני שמונה עשרה עד בני ארבעים כדי להוליכם למחנות.([٩٨])"

"فى اليوم الثامن عندما نظم الألمان كل تجهيزاتهم، طلبوا تجميع كل الرجال من سن الثامنة عشر وحتى سن الأربعين لكى يتم نقلهم إلى معسكرات."

ويبدو أن المعسكرات كانت أمرا مجهولا لليهود ومن يذهب إليها فمصيره مجهول ؛ هل سيعود أم يفنى فى تلك المعسكرات والتى تم استخدام اليهود فيها كعمال بالسخرة . ويعكس الأديب مدى القلق الذى يصاحب اليهودعلى مصير من يعتقل ويقتاد للمعسكرات

"היתה זו שואה، החוטפים שלחו כל גבר ، בלא הבחנה، זקנים נערים וחולים. כמה נערות נעלמו. משפחותיהם של בני הערובה בכו ، בקשו והתחננו. צריך היה לדאוג לאותם שכבר היו במחנות. הידיעות מן המחנות הין רעות ביותר. שואה הסטורית או אסון טבע ، קפחו אחי לדת ([٩٩])"

"كانت هذه نكبة. أرسل الخاطفون كل رجل ، بدون تمييز، الشيوخ والصبية والمرضى. عدة فتيات اختفين. بكت عائلات الرهائن وطلبوا وتوسلوا. كان لابد من القلق على هؤلاء الذين فى المعسكرات. فالمعلومات التى تصل من المعسكرات كانت سيئة جدا. نكبة تاريخية أو كارثة طبيعية. اضطهدوا إخوتى فى الدين."

يقدم هنا الأديب أسباب القلق والخوف على اليهود داخل المعسكرات بعد أن يتم اقتيادهم إليها دون تفرقة بين شيوخ وصبية ، ويعانى فيها اليهود من ظروف معيشية صعبة. ويعملون فى ذل ومهانة يعانون القهر والمرض. ومن يحاول الهرب يقتل على الفور أويرسل إلى المانيا. ويؤكد الأديب على معاناة اليهود فى معسكرات النازية

"כיצד אישאר כאן، שעה שכל הצעירים היהודים מוכים מושפלים، נרצחים במחנות؟ (١٠٠)"

"كيف أبقى هنا وفى نفس الوقت كل الشباب اليهود معاقين ومهانين وقتلى فى المعسكرات"

يتطرق الأديب إلى الحالة النفسية التى انتابت اليهود داخل المعسكرات النازية وبخاصة فى الوقت الذى هزم فيه الألمان وكان عليهم الانسحاب من تونس؛ حيث تملك اليهود الرعب والهلع من فكرة أن يقوم الألمان بقتلهم أو نقلهم لألمانيا تمهيدا لتصفيتهم

"הגרמנים היו נסוגים והולכים، גבם אל הים، המחנות הועתקו וחזרו והועתקו צפונה. תוך חודשים ימים שינינו מקום חמש פעמים. פשטה השמועה שעתידם להסיענו לגרמניה. לא העזנו להגות בהשערה האחרת המסתברת יותר: השמדה במקום. תת קצין צ'יכי במדים גרמניים אישר לפנינו את סימני ההתמוטטות של הנאצית הקרובה וזאת ההכנות לנסיגה. שוב אין ברשות הגרמנים צי מספיק، ואין ספק שלא ישחררנו. עלינו לחשוב איפוא על הגרוע ביותר ולברוח מיד.(١٠١)"

"كان الألمان ينسحبون ظهورهم تجاه البحر. تحركت المعسكرات ناحية الشمال وخلال شهرين تم تغيير الموقع خمس مرات. انتشرت الشائعة بأن الألمان سينقلونا إلى ألمانيا. لم نجرأ على التفكير فى الافتراض الثانى الأكثر منطقية وهو الإبادة فى المكان نفسه. أخبرنى جندى تشيكى يرتدى الملابس الألمانية بأن بوادر انهيار النازية وشيكة وهذه استعدادات الانسحاب. وليس لدى الألمان أسطول كافى. وبلا شك لن يطلقوا سراحنا. علينا أن نفكر فى الحل الأسواء وأن نهرب على الفور"

عكس هنا الأديب المعاناة النفسية التى عانها اليهود على يد الألمان والمخاوف التى صاحبتهم فى المعسكرات ومأساتهم فى انتظار الموت فى كل لحظة. وقد عرض الأديب أشكال المعانات التى عاناها اليهود فى تونس على يد الألمان ؛ حيث إنه شارك جميع اليهود فى تضخيم فكرة معاناة اليهود فى تونس على يد الألمان حيث " يجمع اليهود على أن فترة الاحتلال النازى الألمانى لتونس والتى استمرت لمدة ستة أشهر ، من ١٤ نوفمبر ١٩٤٢ إلى ٧ مايو ١٩٤٣ ، كانت الفترة الأصعب فى حياة بهود تونس وعانوا فيها جسديا ونفسيا.([١٠٢])

- موقف الفرنسيين من النازية

كانت فترة الاحتلال الألمانى كما صورها الكتاب اليهود وقدمها الأديب ألبير ميمى فى روايته أصعب فترة فى تاريخ يهود تونس، فعانوا فيها نفسيا وجسديا، بل ولقد خاب ظنهم فى الفرنسيين وخاصة بعد أن تعاون الفرنسيون مع الألمان وتنكروا لليهود، وهو ما أحبط اليهود وأصابهم بخيبة أمل فى الفرنسيين، وبخاصة بعد أن علق يهود تونس أمال كبيرة فى الفرنسيين؛ فتعلموا فى مدارسهم وأجادوا لغتهم وحملوا ثقافتهم ورأو فى فرنسا حلم وخلاص من الشرق، واعتقدوا أنهم جزء من فرنسا وثقافتها. إلا أنهم وجدوا أنفسهم يواجهون النازيين بمفردهم و تنكر الفرنسيون لليهود وتخلوا عنهم . وكما يقدم الأديب فالفرنسيين يديرون ظهورهم لليهود أصدقائهم، وهذا ما يحدث مع مردخاى الذى يلجأ إلى منزل صديقه ومعلمه ومثله الأعلى فوانسو الفرنسى ليأويه ويحميه من بطش الألمان، لكنه يصدم صدمة مروعة بعد تخلى فوانسو عنه وتنكره له

"יודע אתה צר לי לא נוכל להציע לך להישאר פה. דומה שהגרמנים עורכים חיפושים גם בבתי הצרפתים.

אם פואנסו אינו נכון לעשות למעני מאומה، שום צרפתי אחר לא יהיה נכון לכך.([١٠٣])"

" أنت تعلم أنه من الصعب على ، لا نستطيع أن نعرض عليك البقاء هنا. يبدو أن الألمان يفتشون فى منازل الفرنسيين أيضا.

لو فوانسو غير مستعد لفعل شيء من أجلى ، فأى فرنسى آخر لن يكون على استعداد لفعل شيء من أجلى"

يعرض هنا الأديب تنكر الفرنسيين لليهود وتخليهم عنهم وعجزهم عن حمايتهم من الألمان، وهو ما يمثل صدمة لليهود. ولايتوقف الأمر كما يصوره الأديب عند حد الصمت ورفض الحماية والخذلان، بل إن الأمر تخطى ذلك الحد فكان الفرنسيون يتعاونون مع الألمان ضد اليهود فكانوا يعملون مرشدين للألمان ويساعدونهم للقبض على اليهود.

"השוטרים הצרפתים שימשו לגרמנים מורי דרך. השוטרים יודעו היכן בתי היהודים, היו דופקים על הדלתות וקוראים משטרה, הגרמנים היו נכנסים אחריהם.([١٠٤])"

"استخدم الألمان رجال الشرطة الفرنسيين مرشدين. فرجال الشرطة عرفوا أين منازل اليهود، وكانوا يطرقون على الأبواب ويصيحون شرطة والألمان يدخلون خلفهم "

يعكس هنا الأديب الوجه الآخر لفرنسا وهو التعاون مع النازية ضد اليهود للقبض عليهم. ولقد كان الوجه الآخر لفرنسا يمثل خيبة أمل لليهود، وبخاصة الذين انبهروا بثقافة الغرب وتنكروا لماضيهم العربى وتقاليدهم اليهودية ذات الطابع الشرقى. ويبدو أن اليهود قد صعقوا من هذا الوجه الآخر الذى كشفته فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية ، فكانت صدمة مروعة ، وهو ما يؤكد عليه الأديب على لسان بطله مردخاى:

"כה רחוק הייתי מלהין דבר עד שסבור הייתי כי יש כאן בעיקר הדברים ענין של כבוד בין היהודים, הצרפתים והגרמנים. משנטל פטן את השלטון בצרפת ، הופעלו החוקים האנטישמיים כעבור פרק זמן גם לגבינו. כשהופיעו צויים אוכזבתי, רגזתי יותר. היתה זו הבגידה הכאובה, המתמיהה, של תרבות אשר תליתי בה את כל תקוותי, אשר הקדשתי לה את מלוא ההערצה ולהט הלב.([١٠٥])"

"كنت بعيدا عن فهم شيء، لقد كنت أظن أنه يوجد شيء من الاحترام تجاه اليهود بالذات من الفرنسيين والألمان. لكن عندما تولى بتن الحكم فى فرنسا طبقت قوانين معاداة السامية تجاهنا أيضا بمرور الوقت. وعندما صدرت تلك القرارات خاب ظنى وغضبت جدا.

كانت هذه هى الخيانة المؤلمة والمفاجئة، من الثقافة التى علقت عليها كل آمالى ، والتى كرست لها كل الإعجاب والحماس "

يظهر هنا الأديب الألم و الصدمة التى شعر بها اليهود لما بدر من فرنسا، التى أدارت لهم ظهرها رغم أنها كانت ملاذ وحصن لهم وأمل بعد أن تطبعت حياتهم وثقافتهم ،وبخاصة جيل الشباب، بالطابع الفرنسى. ويؤكد الأديب على الصدمة وخيبة الأمل فى فرنسا التى صارت كألمانيا النازية فأصدرت قوانين وأحكام ضد اليهود يصفها الأديب على لسان بطله بالمعادية للسامية. ويؤكد الأديب على أن فترة النازية كشفت لليهود عن الموقف الحقيقى للغرب من اليهود

"תקופה זו היתה בלי ספק אחת מן הנוראות בחיי. המלחמה לימדתנו לדעת את מקומנו האמיתי בלב בני המערב. התנכרו לנו. פיקפקתי שוב בבגידתה של צרפת.([١٠٦])"

"كانت هذه الفترة بلا شك من أفظع الفترات فى حياتى. علمتنا الحرب أن نعرف مكانتنا الحقيقية فى قلوب الغربيين. لقد تنكروا لنا. وتحيرت من خيانة فرنسا "

يعلن هنا الأديب على لسان بطله خيبة أمل اليهود وصدمتهم فى الغرب بصفة عامة وفرنسا على وجه الخصوص. ويتهمهم بالتنكر لليهود رغم ارتماء اليهود فى أحضان الغرب وفرنسا. وتنكرهم لثقافة الأجداد فكانت الصدمة مروعة بالنسبة لجيل الشباب من يهود تونس رافضين رؤية الوجه الآخر من فرنسا والغرب ؛ ذلك الوجه القبيح الذى يلفظ يهود الشرق

" עדיין מסרב הייתי לראות פרצוף חדש של צרפת ([١٠٧])"

"ما زلت أرفض رؤية الوجه الجديد لفرنسا "

ينبغى القول أن الصدمة التى يعرضها الأديب ويؤكد عليها كثيرا فى روايته يهدف من خلالها إلى :

. إظهار أن اليهود هم عنصر مضطهد على يد الأمم الأخرى، وأيا كانت تلك الأمم فهى تحمل فى طياتها معاداة للسامية، وتلك المعاداة تجاه اليهود مرض عضال مصاب به غير اليهود، ويتوجهون به تجاه اليهود أينما كانوا وفى كل زمان ومكان.

. محاولة إثبات أن يهود تونس مثل يهود أوربا عانوا من النازية ومن معاداة الشعوب الأخرى التى عاونت النازية وصمتت على الظلم الواقع على اليهود كما يزعمون دائما.

. نغمة الاضطهاد هذه ما هى إلا وسيلة من خلالها يثبت الكتاب اليهود ،بما فيهم الأديب إنه لا صلاح ولا فائدة فى بقية الأمم، وعلى اليهود البحث عن بديل آخر ووجهة أخرى تأويهم وهى الصهيونية التى تتلقفهم بعد تنكر الأمم لهم. وتصبح إسرائيل الوجهة الأصوب ليهود تونس والشرق والعالم ونتيجة منطقية لما يقع لهم من ظلم واضطهاد كما يدعون.

سابعا: **يهود تونس والهجرة**

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ظهرت فى المنطقة دولة إسرائيل ١٩٤٨ والتى أقيمت على حساب الشعب الفلسطينى. ثم تطورت الأوضاع فى تونس. وتمكنت تونس من الحصول على الاستقلال فى ١٩٥٥ وكلها أحداث أثرت على يهود تونس. وبدأت أعداد كبيرة من اليهود فى الهجرة لاسيما من نهاية الأربعينيات من القرن العشرين وبداية الخمسينيات. وشهدت تونس حركة نزوح يهودية متواصلة. وقد استطاع عدد كبير منهم أن يهرب أمواله إلى الخارج. ([١٠٨]) ويعكس الأديب فى روايته قضية الهجرة وأهميتها لدى يهود تونس. وكيف أنها صارت أملا لهم وحلا عقب الحرب العالمية الثانية وتنكر فرنسا والغرب لليهود. فصارت الهجرة إلى إسرائيل من منطلق الحل الصهيونى هو الأفضل لهم بعد الصدمة فى الغرب

" אין איש יכול לכפות עצמו על הזולת זהו דעתם של רוב היהודים שבעיניהם רק ההגירה לבדה הפתרון הציוני.([١٠٩])"

" لا يستطيع شخص فرض نفسه على الآخر. هذا رأى معظم اليهود والذين فى نظرهم الهجرة وحدها فقط هى الحل الصهيونى"

يستعرض هنا الأديب قضية الهجرة من تونس كحل صهيونى بعد أن أصيب جيل الشباب بصدمة تخلى الغرب عن يهود تونس أثناء فترة النازية فى تونس مما دفع الشباب يتجهون ناحية المؤثرات الصهيونية كحل وخلاص لهم. وقد استولت الحركة الصهيونية على عقول تيار من شباب اليهود وبخاصة فى ظل الاتحاد الصهيونى فى تونس ، والذى تاسس فى ١٩٢٠، وكان له علاقات قوية مع التنظيم الصهيونى العالمى وعلى صلة مباشرة بفلسطين. وبعد انتهاء الاحتلال النازى لتونس طرحت قضية الهجرة كضرورة ملحة وأمر ضرورى ، وظهر تنظيم صهيونى نشط أخذ على عاتقه رفع شعار الهجرة إلى فلسطين. ونشطت حركة الهجرة فى ١٩٤٣ و ١٩٤٤ سويا موجة الهجرة القادمة من شمال أفريقيا . كما شهد عام ١٩٤٧ مشاركة يهود من تونس فى موجة هجرة من شمال أفريقيا متجهة إلى فلسطين. ونتيجة لجهود التنظيمات الصهيونية هاجر إلى فلسطين ما يقرب من ٥٠ % من يهود تونس .([١١٠])

يحرص هنا الأديب على جعل الهجرة من تونس إلى فلسطين حلا صهيونيا لمشكلة اليهود التى ظهرت بعد الصدمة فى فرنسا والغرب، فكان النشاط الصهيونى دافعا من دوافع الهجرة. ومن الجدير بالذكر أن هجرة يهود تونس لم تتوجه فقط إلى فرنسا وإسرائيل، بل كانت هناك هجرات إلى دول أخرى وخاصة دول العالم الجديد آنذاك دول أمريكا الجنوبية وهو ما يعكسه الأديب؛ حيث يرى على لسان أبطاله أن الهجرة إلى الأرجنتين الدولة الجديدة فى العالم الجديد مهمة

"עתה גילה דוד אחד، בעל מסעים בארגנטינה، ארץ חדשה، מלאה אוצרות בתולים. אירופה ההרוסה תהיה זקוקה לכל.נלך בעקבותיו של הדוד،נרחיב את עסקיו שכבר עתה יפים הם למדי، נברא אדמות، נטע، נמכור לאירופה. במהרה נהיה עשירים، ואולי גם נעשה לנו שם בארגנטינה، שמועטים בה לפי הערך אנשי תרבות. ([١١١])"

"الآن اكتشف أحد الأعمام رحالة الأرجنتين ،وهى بلد جديد مكدس بالكنوز لم يكتشف بعد. أوروبا المهدمة ستكون فى حاجة لكل شيء. سنذهب بعد العم ، وسنوسع أعماله والتى هى الآن جيدة جدا. سنمتلك آراضى نزرع ونبيع لأوروبا . وبسرعة سنكون أثرياء. وربما يذاع صيتنا فى الأرجنتين التى بها القليل من المثقفين."

يرى هنا الأديب أن الهجرة إلى الأرجنتين كبلد جديد ملىء بالكنوز أمر جيد لليهود يستطيعون أن يحظوا فيه بفرص طيبة للانطلاق نحو أفق اقتصادية جديدة يحققون فيها أحلامهم . والحقيقة أن يهود تونس قد فضلوا الخروج من موطنهم على أن يعيشوا فى ظل الحكم العربى المستقل لخشيتهم من فقدان المكاسب الخاصة فى عهد الحماية الفرنسية. وخاصة أن التخطيط الاقتصادى الجديد قد قلل الربح بالنسبة لرجال الأعمال وبدأ المواطنون التونسيون يشغلون المراكز الاقتصادية التى كانت مقتصرة على الأجانب. كما أن الفتور فى النشاط الاقتصادى الذى رافق فترة الاستقلال بسبب زيادة السكان وتهريب رؤس الأموال وبخاصة أن معظم اليهود كانوا تجار . كما قام النظام الجديد بتعريب الجهاز التعليمى والجهاز الإدارى للدولة ، وكانت ثقافة اليهود فرنسية وهو ما دفع الكثير من اليهود إلى الهجرة .([١١٢]) وهو ما جعل كثير من اليهود يهاجرون إلى العالم الجديد بحثا عن فرص اقتصادية جديدة. وهو ما يكشفه الأديب ؛ حيث يقرر مردخاى السفر مع هنرى صديقه الذى سيسافر إلى الأرجنتين مع عمه للبدء فى حياة جديدة

"ברכבת החוזרת לתוניס, באותן עשרים ושש שעות שאין להן סוף, החלטתי לנסוע עם הנרי.([١١٣])"

"فى قطار العودة إلى تونس، فى تلك الست وعشرين ساعة التى لانهاية لها قررت السفر مع هنرى."

يؤكد الأديب على قرار مردخاى الهجرة مع زميله وصديقه هنرى على السفر من تونس والهجرة إلى الأرجنتين

"הפעם לא עלו תוכניותיו של הנרי בתוהו והוא הצליח להסדיר מהר את בעית הנסיעה, אנו עתידים להפליג לאחר חמישה ימים.

הודעתי על הנסיעה להורי. אבי לא האריך בדברים. אמי לא הבינה כלום ובכתה. אמורים היינו לצאת מן הנמל בשעה חמש، אבל ההכנות להפלגה ארכו. כשיצאנו מן התעלה לקה הנרי בבחלת הים.([١١٤])"

"هذه المرة لم تكن مخططات هنرى مجرد تخبطات، فقد نجح فى أن يرتب بسرعة مشكلة السفر ونحن سنبحر بعد خمسة أيام.

أخبرت والداى عن السفر. لم يطل والدى فى الكلام . وأمى لم تفهم شيء وبكت .

كنا على وشك الخروج من الميناء الساعة الخامسة ، لكن الاستعدادات للإبحار طالت، وعندما خرجنا من القناة أصيب هنرى بدوار البحر."

يقدم هنا الأديب الهجرة كحل ضرورى لجيل الشباب من اليهود، ويصف موقف الشيوخ من هجرة الشباب ؛ فالشيوخ لم يحركوا ساكنا فى قضية هجرة الأبناء الشباب باستثناء الأمهات اللاتى بكين. وهو ما يعنى أن معظم جيل الشيوخ ظل فى تونس. وحملت موجات الهجرة غالبية الشباب. وكانت الهجرة النشطة من جيل الشباب.

وهكذا نجد أن الأديب طرح دوافع هجرة يهود تونس والتى تمثلت فى الإيمان بالفكر الصهيونى، والبحث عن واقع اقتصادى جديد يتمكن فيه اليهود من تحقيق فرص للثراء. ومن الجدير بالذكر أن الأديب لم يطرح فكرة اضطهاد اليهود على يد التوانسة عقب الاستقلال عن فرنسا كدافع للهجرة. ورغم تأكيد الحكومة التونسية عقب الاستقلال فى عهد الرئيس الأول لتونس بورقيبة معاملة اليهود على قدم المساواة مع التونسيين، ورغم عدم وجود اضطهاد فقد استمرت حركة الهجرة من قبل يهود تونس. فغادر ما يقرب من ١٠٥ ألف. منهم ٥٠ ألف إلى فرنسا و٥٠ ألف إلى إسرائيل يقيمون فيها ويمثلون حالة اجتماعية وثقافية خاصة داخل المجتمع الإسرائيلى. يحافظون على عادات وتقاليد أجدادهم. ومن أشهرهم وزير الخارجية الأسبق سلفان شالوم.([١١٥])

من الجدير بالذكر أنه بعد قيام ثورة تونس وسقوط بن على دعا سلفان شالوم نائب رئيس الوزراء الإسرائيلى الذى ينحدر من أصول تونسية يهود تونس إلى الهجرة إلى إسرائيل.

وشرعت عائلات يهودية تعيش فى تونس فى الهجرة إلى إسرائيل بعد أقل من أسبوع على سقوط بن على ووصل ٢٠ مهاجرا يهوديا تونسيا إلى إسرائيل .([١١٦])

الخاتمة

تعتبر الطائفة اليهودية فى تونس من أقدم الطوائف اليهودية فى العالم وأهمها والثابت أن اليهود تعاقبوا على تونس كلما تزايدت موجة الاضطرابات التى كانت تجتاح فلسطين . وتعرض اليهود للاضطهاد والقمع على يد الرومان . ووجد اليهود فى الفتح الإسلامى لتونس خلاص لهم من الاضطهاد حيث تمتع اليهود بالحرية الدينية وخاصة بعد تأسيس مدينة القيروان والتى باتت من أهم المراكز الروحية لليهود نتيجة سياسة التسامح التى انتهجها المسلمون تجاه اليهود فى تونس آنذاك . ويمكن القول أن القيروان ظلت مركزا حيويا لليهود منذ تأسيسها وحتى خرابها .

اعتبرت فترة حكم الأتراك لتونس التى بدأت فى منتصف القرن السادس عشر بمثابة العصر الذهبى الثانى لليهود فى تونس بعد فترة القيروان ، فتطورت أوضاع اليهود واستقرت تماما. وجذب هذا الاستقرار يهود الخارج للقدوم إلى تونس.

بعد أن فرضت الحماية الفرنسية على تونس فتح عهد جديد لليهود بتونس فقد رحب اليهود بالاستعمار الفرنسى . ومنحت السلطات الفرنسية امتيازات كثيرة للأجانب فى تونس ولليهود الذين ظلوا يتمتعون بوضع خاص فى ظل المستعمر الفرنسى وتحقيق مكاسب على حساب المسلمين. وعقب الحرب العالمية الثانية أقيمت إسرائيل فى ١٩٤٨ وفى ١٩٥٦ نالت تونس الاستقلال مما أثر على أوضاع اليهود فى تونس فشهدت تونس موجات هجرة متتالية إلى إسرائيل وفرنسا . ولم يبق فى تونس إلا أعداد ضئيلة من اليهود .

كشف الأديب ألبير ميمى التونسى الأصل فى روايته عن أصول يهود تونس وجذورهم فيوجد يهود توانسة شرقيين ويهود جرانة أوربيين .كما كشف عن فصيل مهم ضمن طائفة اليهود التوانسة وهم يهود ترجع جذورهم إلى قبائل البربر المحلية التى اعتنقت اليهودية قديما فى العصر الرومانى.

قدم لنا الأديب فى روايته واقع تجمع يهود تونس فى حارة اليهود ، فوضع القراء أمام طبيعة السكن الذى يعيش فيه معظم يهود تونس ؛ حيث الحياة فى الحارة والسكن فى منازل بسيطة جدا.

ركز ألبير ميمى على الطبقة الدنيا من يهود تونس والتى تعيش فى الحارة و تمارس الأعمال البسيطة جدا ليثبت مدى صعوبة الحياة فى تونس بالنسبة لليهود. وتناسى وجود طبقة مهمة بين يهود تونس وهى طبقة التجار الثرية والتى عملت فى التجارة الدولية.

عرض الأديب لظاهرة الفقر المنتشرة بين أهل الحارة فصور الأديب حالة الفقر والحرمان التى تعيشها الأسر اليهودية فى الحارة، وكيف أجبرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة الأسر على الاعتماد على الأبناء الصغار الذكور وهم فى سن الطفولة للمشاركة فى إعالة الأسرة ليكونوا مصدر للرزق فى الأسر الفقيرة.

حرص الأديب على تقديم تطلعات يهود تونس وإقبالهم على الدراسة، إلا أنه اهتم بنوع واحد فقط ، يبدوا أنه النوع الذى تلقاه هو نفسه، وهو الدراسة فى مدارس الإليانس التى قدمت تعليما فرنسيا متجاهلا تماما التعليم الحكومى الذى استوعب ايضا الكثير من يهود تونس. كما تجاهل المدارس التابعة للطائفة .

عكس الأديب مدى انتشار الثقافة الفرنسية بين الشباب من يهود تونس والذين تلقوا تعليما فرنسيا وعبر عن مدى تأثر اليهود بالثقافة الفرنسية الغربية والتى تلقوها فى المدارس الأجنبية فى ظل الاحتلال الفرنسى ، مما أدى إلى سيطرة الثقافة الفرنسية على عقول وفكر جيل الشباب وصارت أقرب لهم من اللغة العربية وثقافتها وهى لغة البلد الذى آواهم ولغة آبائهم وأجدادهم. فكانت النتيجة الطبيعية ظهور فجوة بين ثقافة ولغة جيل الشباب وثقافة ولغة الآباء والأجداد التى سادت الجيتو.

قدم الأديب فى الرواية موقف جيل الشباب الذى تلقى تعليما فرنسيا من القيم الدينية الموروثة . حيث الرفض والانتقاد والتمرد على الدين، ورأى أن فرائض الدين والالتزام مجرد سخافات وتفاهات لا قيمة لها، وأن إعمال العقل فى العلوم الدنيوية كالأدب والفلسفة والفن

أهم من التفكير فى سخافات القيم الدينية والمحرمات وكل ما هو مقدس. مما أدى ظهور فجوة شاسعة بين جيل الآباء المحافظ على التقاليد الدينية وبين حيل الشباب الذى تربى فى ظل الثقافة الغربية .

كشف ألبير ميمى بشكل واضح عن أزمة الهوية التى تواجه اليهودى التونسى، ويرى أن الشباب وقع فى فخ الاختيار بين الشرق والغرب بعد تلقيه ثقافة غربية جعلته يشعر بالغربة عن نفسه فهو متخبط بين الشرق بتقاليده وقيمه الدينية والاجتماعية، وبين الغرب الذى يمثل بالنسبة له التحرر والحرية والثقافة والفكر.

عكس الأديب فى روايته موقف المسلمين من اليهود وبخاصة عقب الحرب العالمية الثانية وظهور الحركات القومية الوطنية فى تونس ؛ حيث رأى المسلمون أن اليهود جزء من الوطن و أنهم جزء أصيل لا يتجزأ من تونس هم وآبائهم وأجدادهم.

صور الأديب فى روايته أن فترة الاحتلال الألمانى لتونس فترة صعبة ومريرة. وشارك الكتاب اليهود فى تضخيم فكرة معاناة اليهود فى تونس على يد الألمان ورأى أنها كانت الفترة الأصعب فى حياة يهود تونس وعانوا فيها جسديا ونفسيا.

طرح الأديب دوافع هجرة اليهود من تونس فكان الدافع الصهيونى من أهم الدوافع ؛ فكانت الهجرة حلا لليهود بعد ان أصيبوا بصدمة تخلى الغرب عنهم فى فترة النازية فى تونس. كما كانت الدوافع الاقتصادية مهمة ، فكانت الهجرة من يهود تونس بحثا عن واقع اقتصادى جديد يتمكن فيه اليهود من تحقيق فرص ثراء .

الهوامش

[١]– ألبير ميمى هو مردخاى ألكسندر بن علوش ولد فى ١٥ ديسمبر ١٩٢٠ وتوفى فى مايو ٢٠٢٠. وهو أديب وفيلسوف يهودى من اصل تونسى . حظى ميمى بشهرة كبيرة فى الخمسينيات

ولد ألبير فى جيتو بتون لأسرة يهودية. درس الابتدائية والثانوية فى مدارس الأليانس التى تقدم تعليما فرنسيا فى تونس ودرس الفلسفة فى الجامعة بالجزائر . واجه ميمى اختبار ثلاث ثقافات : العربية والفرنسية والعبرية ، وواجه صعوبة بالغة فى الدمج بين الثلاث ثقافات ، وبين الشرق والغرب. وواجهة أزمة فى الهوية حيث الانتقال الحاد من ثقافة شمال أفريقيا إلى ثقافة الغرب ز وقد اختار الانحياز إلى الثقافة فرنسا . وقد هاجر من تونس بعد أن حصلت على الاستقلال إلى فرنسا وعاش بها.

فى عام ١٩٥٣ صدر روايته الأولى عمود الملح . ثم توالى نتاجه الأدبى والذى من أهمه كتابه الشهير وجه المحتل ووجه المحتل" ١٩٥٧ ويتناول فيه قضية الاحتلال والمشاكل المرتبطة به

. اليهود والعرب ١٩٧٥

. تحرير اليهودى ١٩٧٦

. العنصرية ١٩٨٢

. الغريب رواية صدرت ١٩٨٦

http://he.wikipedia.org/wiki/%D7%90%D7%9C%D7%91%D7%A8_%D7%9E%D7%9E%D7%99

[٢]– **שטאל אברהם: תולדות יהודי מרוקו. משרד החינוך והתרבות, המחלקה לתרבות. ירושלים, תשל"ך. עמ" 31**

[٣]– **שוראקי נתן א: קורות היהודים בצפון אפריקה. עם עובד. ת"א. 1975 עמ" 41**

[٤]– **הירשברג . ח : מארץ מבוא השמש. המחלקה לעניני הנוער והחלוץ של ההסתדרות הציונית. ירושלים, תש"ז . עמ" 94**

[5] –Grayzel s : A history of the jews from the Bablonion exeil to the establishment of Isreal. The Jewish publication society of America.Phildephia 1966. P 251

[٦]– للمزيد انظر : أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ. الطبعة الخامسة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد. ١٩٨١ ص ٦٢٧

جمال حمدان : اليهود أنثربولوجيا، دار الهلال القاهرة. ١٩٩٦ . ص٧٥

[7] - Sachar .A. L: : A history of the jews. New York.1953 p68

. أحمد بن محمد المقرى :نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق إحسان عباس ج١ ، دار صادر بيروت ١٩٦٨ ص ٢٦٣

[٨]– أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك.بيروت. ص٩٣

[9] –Slousch N:Travels in North Africa. The Jewish publication society of America. philadephia . 1972 p248

Astor E : The Jews of Moslem spain. philadephia . 1973 p143

Astor E : The Jews and the Mediterrnean economy' 10 – 15 th ceturies . London . 1983 p212

[١٠] – אברהמי יצחק :יהדות תוניס. המכון היהודי ערבי. בית ברל. 1994 עמ" 18

[١١]– عبد الرحمن البشير : اليهود فى المغرب العربى ٦٤٢ – ١٠٧٠ . عين للدراسات والبحوث. القاهرة ٢٠٠١ ص٧٢

[12] – Stilman Y.K: the jews in medieval Islamic. leiden 1995 p11 ; Stilman M.A: the jews of arab lands' A hitory and source book .The Jewish publication society of America. philadephia . 1979 p184

[١٣] – للمزيد انظر : مارك كوهن: المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى ٦٤١– ١٣٨٢، ترجمة نسرين مرار وسمير نقاش، مراجعة سليمان جبران، مقدمة ساسون سوميخ، مكتبة لقاء، المعهد اليهودي العربي، جامعة نل أبيب، ١٩٨٧.

Goitein . S.D: Mediterrnean society. Jewish communities of Arab world as partrayed in the documents of the cairo geniza 969 - 1250.university of California press. 1975

Goitein . S.D: Jews and Arabs. Their contacts through the ages. New York. 1975

[١٤]- אביטבול מיכאל: יהדות צפון אפריקה. מכון בן צבי. ירושלים. תש"ם. עמ" 131

[١٥]- אברהמי יצחק :יהדות תוניס. עמ" 18

[١٦]– סיטון דוד: הקהלות הספרדיות בימינו،הוצאת ועד הספרדים، ירושלים. תשמ"ב. עמ" 57

[١٧]– חדד יחזקאל: יהודי ארצות ערב ואיסלאם . ת"א . 1983 עמ" 67

[١٨]– على إبراهيم عبده ، خيرية قاسمية : يهود البلاد العربية. مركز الأبحات منظمة التخرير الفلسطينية. بيروت ١٩٧١ ص٢٢٧

[١٩]– زياد خالد: يهود تونس ، ندوة يهود الأقطار العربية. بغداد ١٩٨٧. جامعة بغداد . بغداد ١٩٩٠ ص ٣٠٢

[٢٠]– على إبراهيم عبده ، خيرية قاسمية : يهود البلاد العربية. ص ٢٢٨

[٢١]– مأمون كيوان :اليهود فى الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الجيتو. الأهلية للنشر . عمان ١٩٩٦ ص٩١

[22] - Fatai Raphael: Encyclopedia of Zionism and Israel. Herzl press. New York. 1971 p 843

[23] - Chouraqui. A : Between east and west : A history of the jews of north africa. Phildephia 1968. P 164

[٢٤] – אברהמי יצחק :יהדות תוניס. עמ" ٣٨

[٢٥]– مأمون كيوان : اليهود فى الشرق الأوسط،. ص٨٩

[٢٦]– للمزيد انظر : أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ. ص ٦٢٧

جمال حمدان : اليهود أنثربولوجيا . ص٧٥

[٢٧]– مأمون كيوان : اليهود فى الشرق الأوسط،. ص٨٩

[٢٨]– **ממי אלבר : נציב המלח. עם עובד. ת"א. 1987 עמ"66**

[29] –Hirschberg J : the problem of the judaized berbers' the journal of African history. Vol 4 1963 p319

Slousch N:Travels in North Africa. The Jewish publication society of America. philadephia . 1972

Grayzel s : A history of the jews from the Bablonion exeil to the establishment of Isreal. The Jewish publication society of America.Phildephia 1966. P 251

[٣١]– أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى : المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس. دار المسيرة .بيروت ١٩٩٣ ص٤٧

زاهر رياض : شمال أفريقيا فى العصور الوسطى. الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٨١

[٣٢]– **ממי אלבר : נציב המלח. עמ"15**

[٣٣]– **שם . עמ"132**

[٣٤]– **אברהמי יצחק :יהדות תוניס. עמ" ٣٣**

[٣٥]–Schechtman .J. B: On wings of eagles. New York. 1986 p311

إلياس سعد : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة. مركز الأبحاث . بيروت ١٩٦٩. ص ١٧٣

[٣٦]– **ממי אלבר : נציב המלח. עמ"66 – 67**

[37] - Hadad.C : the jewish role in the new Tunisian democracy. World jewry. June. 1975 . p14

[٣٨]– **בלוי עירית אברמסקי: הנצחת קהילות ישראל בלוב ובתונסיה. עמ"147**

[٣٩] – **ממי אלבר : נציב המלח. עמ"٩**

[٤٠]– **שם . עמ" 45 – 46**

[٤١] – **שם . עמ" 20**

[٤٢]– **אהרוני ראובן : קהילות יהודיות בארצות ערב.**

[٤٣]– **ליפישיץ משה : תולדות יהודי מזרח ומערב בזמן החדש.**

على إبراهيم عبده ، خيرية قاسمية : يهود البلاد العربية. ص ٢٣١

[٤٤]– **ממי אלבר : נציב המלח. עמ"174**

[٤٥]– محمد الحبيب بن خوجة : يهود المغرب العربى. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. القاهرة ١٩٧٣. ص١٣٩ ، زياد خالد: يهود تونس ، ندوة يهود الأقطار العربية. ص ٣١١

[٤٦]– على إبراهيم عبده ، خيرية قاسمية : يهود البلاد العربية. ص٢٣١
مأمون كيوان : اليهود فى الشرق الأوسط،. ص٩٠
[٤٧] – ממי אלבר : נציב המלח. עמ"١١
[٤٨]ממי אלבר : נציב המלח. עמ"٢٠
[٤٩]– ממי אלבר : נציב המלח. עמ"١٥
[٥٠]ממי אלבר : נציב המלח. עמ"1٤
[٥١]– שם. עמ"27
[٥٢]– אברהמי יצחק :יהדות תוניס. עמ" 24
[٥٣] – ממי אלבר : נציב המלח. עמ"25
[٥٤] – שם. עמ" 81
[٥٥] – שם. עמ"21
[٥٦]– שם. עמ"25
[٥٧]– שם. עמ" 84
[٥٨] – שם. עמ" 82
[٥٩] – الإليانس : كلمة فرنسية تعنى التحالف. والإليانس الإسرائيلى الدولى تنظيم يهودى تأسس فى باريس عام ١٨٦٠ بهدف الدفاع عن التحريات المدنية والدينية لليهود وتنمية المجتمعات اليهودية المختلفة عن طريق التعليم والتدريب المهنى وإغاثة اليهود فى الأزمات . وقد أسس التحالف شبكة تعليمية واسعة فى أسيا وشمال أفرقيا وفلسطين .

[60] - Marion woolfson: Jews in arab world. Faber . london. 1980 p 75

[٦١]– محمد الحبيب بن خوجة : يهود المغرب العربى. ص ١٣٨
[٦٢]– ממי אלבר : נציב המלח. עמ"2٦ – ٢٧
[٦٣] – שם. עמ"2٨
[٦٤]– שם. עמ"٥٣
[٦٥]– שם. עמ" ٥٦ – ٥٧
[٦٦]– אברהמי יצחק :יהדות תוניס. עמ" 27
[٦٧]– ממי אלבר : נציב המלח. עמ"٢٢٥
[٦٨] – שם. עמ" ٢٣٢
[٦٩]– للمزيد حول أنواع التعليم التى تلقاها يهود تونس أنظر :على إبراهيم عبده ، خيرية قاسمية : يهود البلاد العربية. ص٢٣١

محمد الحبيب بن خوجة : يهود المغرب العربى.ص ١٣٩

[٧٠] – **ממי אלבר** : **נציב המלח. עמ"١٩٩**

[٧١]– **שם. עמ" ٧٢**

[٧٢]– للمزيد أنظر : **בן יעקב אברהם:ממנהגי יהדות תוניס.הוצאת המדפסים הממשלתים. ירושלים. תשכ"ז**

נחום סלושץ : האי פליא ، האי גרבה. גזית. ת"א. ٢٠٠١١

יוסי פרי : בלאד אלפל ורליסמין. .מס. ירושלים. ٢٠١٢

[٧٣]– **ממי אלבר : נציב המלח. עמ"١٠٢ – ١٠٣**

[٧٤]– **שם. עמ" ١٠٣**

[٧٥] – **שם. עמ" ١٠٣ – ١٠٤**

[٧٦] – **שם. עמ" ١٠٥**

[٧٧] – **שם. עמ" ١١٤**

[٧٨] – **שם. עמ" ١٥٦**

[٧٩]– **שם. עמ" ١٥٦**

[٨٠]– **שם. עמ" ١٨٤**

[٨١]– **אברהמי יצחק :יהדות תוניס. עמ" ٣٥**

[٨٢]– زياد خالد: يهود تونس . ص ٣٠١

[٨٣]– مأمون كيوان : اليهود فى الشرق الأوسط،. ص91

[٨٤]– **ממי אלבר : נציב המלח. עמ" ١٨٠**

[٨٥] – **שם. עמ" ١٨١**

[٨٦]– للمزيد أنظر : **איטנגר שמואל : תולדות היהודים בארצות האיסאם. זלמן שזר. ירושלים. תשמ"ן**

على إبراهيم عبده ، خيرية قاسمية : يهود البلاد العربية. ص٢٤٠ – ٢٤١

[٨٧]– للمزيد انظر:**בלוי עירית אברמסקי: הנצחת קהילות ישראל בלוב ובתונסיה. עמ"147**

אברהמי יצחק :יהדות תוניס. עמ" ٣٥

[٨٨] – **ממי אלבר : נציב המלח. עמ" ١٨٢**

[٨٩]– **שם. עמ" ١٧٢**

[٩٠]– **שם. עמ" ١٧٠ – ١٧١**

[٩١] – **שם. עמ" ١٨٢**

[٩٢] - Lillenthal. A : The other side of the coin, new York. 1965,p 40

[٩٣]– נחום סלושץ : האי פליא ، האי גרבה.
יוסי פרי : בלאד אלפל ורליסמין.
[٩٤] – בלוי עיריית אברמסקי: הנצחת קהילות ישראל בלוב ובתונסיה. עמ"ז17
[٩٥]– בן יעקב אברהם: ממנהגי יהדות תונסיה. עמ"172
[٩٦] – ממי אלבר : נציב המלח. עמ" ١٨٧
[٩٧] – שם. עמ" ١٨٧
[٩٨] – שם. עמ" ١٨٨
[٩٩] – שם. עמ" ١٩٢
[١٠٠] – שם. עמ" ١٩٤
[١٠١] – שם. עמ" ٢٠٣
[١٠٢]– אברהמי יצחק :יהדות תוניס. עמ" ٣٥
[١٠٣] – ממי אלבר : נציב המלח. עמ" ١٩١
[١٠٤] – שם. עמ" ١٩١
[١٠٥]– שם. עמ" ١٨٦
[١٠٦]– שם. עמ" ٢١٩
[١٠٧] – שם. עמ" ١٩١
[١٠٨]– هشام الدجانى : اليهودية والصهيونية . دار الحقائق. بيروت . ١٩٨٥ ص ١٢
[١٠٩]– ממי אלבר : נציב המלח. עמ" ١٨٠ –١٨١
[١١٠]– אברהמי יצחק :יהדות תוניס. עמ" ٣١
[١١١] – ממי אלבר : נציב המלח. עמ" ١٨٠ –٢٢٠
[١١٢]– على إبراهيم عبده ، خيرية قاسمية : يهود البلاد العربية. ص٢٤٤
زياد خالد: يهود تونس ، ندوة يهود الأقطار العربية. ص ٣٢٠
[١١٣] – ממי אלבר : נציב המלח. עמ" ٢٣٣
[١١٤] – שם. עמ" ٢٣٩ – ٢٤٠
[١١٥]–http//www.choaa.com
http//www.hadath-el- sa/ Tunisia-thawra
[١١٦]– מגנזי גבי : יהדות תונסיה התפללו תחת אבטחה" לא חוששים. ידיעות אחרונות. 16/1/2011

المصادر والمراجع

أولا: باللغة العربية

- أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك.بيروت.
- أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى : المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس. دار المسيرة .بيروت ١٩٩٣
- أحمد بن محمد المقرى :نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق إحسان عباس ج١ ، دار صادر بيروت ١٩٦٨
- أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود فى التاريخ. الطبعة الخامسة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد. ١٩٨١
- إلياس سعد : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة. مركز الأبحاث . بيروت ١٩٦٩.
- جمال حمدان : اليهود أنثربولوجيا، دار الهلال القاهرة. ١٩٩٦
- زاهر رياض : شمال أفريقيا فى العصور الوسطى. الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٨١
- زياد خالد: يهود تونس ، ندوة يهود الأقطار العربية. بغداد ١٩٨٧. جامعة بغداد . بغداد ١٩٩٠
- عبد الرحمن البشير : اليهود فى المغرب العربى ٦٤٢ – ١٠٧٠ . عين للدراسات والبحوث. القاهرة ٢٠٠١
- على إبراهيم عبده ، خيرية قاسميه : يهود البلاد العربية. مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت ١٩٧١
- مارك كوهن: المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى ٦٤١-١٣٨٢، ترجمة نسرين مرار وسمير نقاش، مراجعة سليمان جبران، مقدمة ساسون سوميخ، مكتبة لقاء، المعهد اليهودي العربي، جامعة نل أبيب، ١٩٨٧.
- مأمون كيوان :اليهود فى الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الجيتو. الأهلية للنشر . عمان ١٩٩٦

- **محمد الحبيب بن خوجة : يهود المغرب العربى. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. القاهرة ١٩٧٣.**
- **هشام الدجانى : اليهودية والصهيونية . دار الحقائق. بيروت . ١٩٨٥**

ثانيا: باللغة العبرية

- אביטבול מיכאל: יהדות צפון אפריקה. מכון בן צבי. ירושלים. תש"ם.
- אברהמי יצחק :יהדות תוניס. המכון היהודי ערבי. בית ברל. 1994
- אהרוני ראובן : קהילות יהודיות בארצות ערב. הוצאת בית התפוצות. ת"א 1996
- איטנגר שמואל : תולדות היהודים בארצות האיסאם. זלמן שזר. ירושלים. תשמ"ן
- בלוי עירית אברמסקי: הנצחת קהילות ישראל בלוב ובתונסיה. מבט. ת"א. 2003.
- בן יעקב אברהם: ממנהגי יהדות תונסיה. הוצאת הדפים הממשלתים . ירושלים. תשכ"ז
- הירשברג . ח : מארץ מבוא השמש. המחלקה לעניני הנוער והחלוץ של ההסתדרות הציונית. ירושלים, תש"ז
- חדד יחזקאל: יהודי ארצות ערב ואיסלאם . ת"א . 1983
- יוסי פרי : בלאד אלפל ורליסמין. .מס. ירושלים. ٢٠١٢
- ליפישיץ משה : תולדות יהודי מזרח ומערב בזמן החדש. אור עם. ת"א ، 1987
- מגנזי גבי : יהדות תונסיה התפללו תחת אבטחה" לא חוששים. ידיעות אחרונות. 16/1/2011
- ממי אלבר : נציב המלח. עם עובד. ת"א. 1987
- נחום סלושץ : האי פליא ، האי גרבה. גזית. ת״א. ٢٠٠١١
- סיטון דוד: הקהלות הספרדיות בימינו،הוצאת ועד הספרדים، ירושלים. תשמ"ב.
- שוראקי נתן א: קורות היהודים בצפון אפריקה. עם עובד. ת"א. 1975
- שטאל אברהם: תולדות יהודי מרוקו. משרד החינוך והתרבות، המחלקה לתרבות. ירושלים، תשל"ך.

ثالثا: باللغة الأجنبية

- Astor E : The Jews of Moslem spain. philadephia . 1973
- Astor E : The Jews and the Mediterrnean economy' 10 – 15 th ceturies . London . 1983
- Chouraqui. A : Between east and west : A history of the jews of north africa. Phildephia 1968
- Fatai Raphael: Encyclopedia of Zionism and Israel. Herzl press. New York. 1971
- Goitein . S.D: Mediterrnean society. Jewish communities of Arab world as partrayed in the documents of the cairo geniza 969 - 1250.university of California press. 1975
- Goitein . S.D: Jews and Arabs. Their contacts through the ages. New York. 1975
- Grayzel s : A history of the jews from the Bablonion exeil to the establishment of Isreal. The Jewish publication society of America.Phildephia 1966
- Hadad.C : the jewish role in the new Tunisian democracy. World jewry. June. 1975
- Hirschberg J : the problem of the judaized berbers' the journal of African history. Vol 4 1963
- Lillenthal. A : The other side of the coin, new York. 1965
- Marion woolfson: Jews in arab world. Faber . london. 1980
- Sachar .A. L: : A history of the jews. New York.1953
- Schechtman .J. B: On wings of eagles. New York. 1986
- Slousch N:Travels in North Africa. The Jewish publication society of America. philadephia . 1972
- Stilman M.A: the jews of arab lands' A hitory and source book .The Jewish publication society of America. philadephia . 1979
- Stilman Y.K: the jews in medieval Islamic. leiden 1995

رابعا: شبكة المعلومات الدولية : الإنترنت

- http//www.choaa.com
- http//www.hadath-el- sa/ Tunisia-thawra
- http://he.wikipedia.org/wiki/%D7%90%D7%9C%D7%91%D7%A8_%D7%9E%D7%9E%D7%99